أجاثا كريستي

من قتل السيدة ماغنتي؟

دار النجمة للنشر والتوزيع

من قتل السيدة ماغنتي؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

من قتل السيدة ماغنتي؟

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأوّل

استقلّ بوارو المصعد إلى الطابق الثالث حيث يقع مسكنه الفاخر المحكَم التنظيم والإعداد، وفتح الباب وخطا إلى البهو الأبيض حيث وجد خادمه جورج يهرع لاستقباله قائلاً: طاب مساؤك يا سيدي، هنا سيّد في انتظارك.

- حقاً؟ ومن هو؟

- السيد سبنس يا سيدي.

ولم يَعنِ هذا الاسم شيئاً لديه، وبعد أن وقف لحظة أمام المرآة ليلقي نَظرة أخيرة على هندامه فتح باب غرفة الاستقبال فنهض الرجل الذي كان في انتظاره قائلاً: سيد بوارو، أرجو ألاّ تكون قد نسيت لقاءنا السابق منذ فترة طويلة، أنا سبنس مفتش الشرطة.

فصافحه بوارو مرحّباً به وهو يقول: طبعاً، طبعاً.

هو مفتش الشرطة سبنس من قوّة شرطة كليشستر. لقد كانت قضيّة مشوّقة، وكانت منذ فترة طويلة على حدّ قول سبنس. وقال بوارو يحدّث الزائر: جميل منك أن تفكر في زيارتي، أنت قادم من...

– من كليشتسر، سوف أتقاعد بعد نحو ستة أشهر، والواقع أنني كنت سأتقاعد منذ ثمانية عشر شهراً ولكنهم سألوني أن أواصل العمل.

– هذا أفضل، لقد أحسنت صنعاً؛ لا يمكنني أن أصف لك ساعات الملل في حياة التقاعد.

– مهما يكن من أمر فحياة التقاعد أمر لا بدّ منه، وسوف يكون عندي الكثير لأفعله حين أتقاعد. لكني لم أجئ للحديث عن هذا.

– أجل، أجل. أعلم أنك ما جئت إلاّ لزيارة صديق، ولغرض آخر أيضاً!

– لقد قدِمت لزيارتك بشأن قضية ماغنتي، ربما تكون قد قرأت عنها.

– قرأت ما كتب عنها بصورة عابرة، وفهمت مما قرأت أن السيدة ماغنتي امرأة عجوز كانت تعمل في متجر أو منزل ثم ماتت، فكيف ماتت؟

فحملق سبنس في وجهه قائلاً: يا إلهي! سؤالك يعود بي إلى الماضي! ومن عجب أن هذا ما لم يَدُر بخلدي قبل اليوم! ماذا تعني؟!

– لا شيء، مجرّد لُعبة أطفال كنا نمارسها ونحن صغار. كنا نقف صفّاً واحداً ويدور سؤال يعقبه جواب بين الجمع المصطفّ: «السيدة ماغنتي ماتت، كيف ماتت؟ جاثية على إحدى ركبتيها»، ثم يأتي السؤال الثاني: «السيدة ماغنتي

ماتت، كيف ماتت؟» وهكذا، ثم تهوى اللطمة ويتهاوى الصفّ كحزمة واحدة. لقد أَثَرْتَ ذكرياتي.

واستغرق سبنس في الضحك وأطرق بوارو تأدّباً، وكانت تلك اللحظة من اللحظات التي يعتقد فيها أن الإنكليز قوم غريبو الأطوار رغم أنه أقام بينهم نصف عمره، ففهم سبب استعادة ذكريات الطفولة في تلك اللحظة بالذات. وكرّر بوارو سؤاله قائلاً: كيف ماتت؟

- لقد ضُربت على مؤخّرة رأسها بأداة حادّة ثقيلة وسُرقَت مدّخراتها التي تبلغ ثلاثين جنيهاً، وكانت تقيم في كوخ صغير يشاركها فيه ساكن يُدعى بنتلي، وكان بنتلي في حالة ضيق مالي شديد بعد أن فُصل من عمله وكان مَديناً لها بإيجار شهرين، وقد عُثر على النقود المسروقة مخبَّأة تحت حَجَر خلف الكوخ، وعُثر على آثار دماء وبقايا شعر على كُمّ معطف بنتلي، واتضح أن الدماء من نفس فصيلة دم القتيلة والشعر مطابق لخصلات شعرها.

- ومن الذي اكتشف الجريمة؟

- بائع الخبز. وكان جيمس بنتلي قد فتح له الباب وقال إنه طرق باب غرفة نوم السيدة ماغنتي ولكنها لم تُجِب، ورأى بائع الخبز أنها ربما كانت مريضة فاستدعى جارة لها لتتبيّن حقيقة الأمر. ولم تكن السيدة ماغنتي في غرفتها، واتضح أنها لم تقضِ ليلتها في فراشها غير أن الغرفة كانت في وضع يدلّ على ما تعرضَت له من تنقيب وسلب، ثم رأوا أن يبحثوا عنها في الردهة حيث عثروا عليها مسجاة فوق الأرض وبعد

ذلك اتصلوا بالشرطة.

- وقبضوا على بنتلي ثم قُدّم للمحاكمة.

- أجل، وانتهت المحاكمة بالأمس وصدر الحكم صباح اليوم بالإعدام بعد أن قرّر المحلّفون إدانته.

- وبعد صدور الحكم قرّرتَ القدوم لزيارتي، فلماذا؟

- لأنني أعتقد أنه لم يرتكب الجريمة.

* * *

الفصل الثاني

ران عليهما الصمت لحظة ثم قال بوارو: ولهذا قدِمت لزيارتي و...

ولكنه لم يستطرد في حديثه لأن سبنس قاطعه قائلاً: لقد قضيت في عملي فترة طويلة وكانت لي في تلك الفترة عدة تجارب، الأمر الذي أتاح لي الحكم على الناس حكماً صحيحاً لَا يخطئ، ولقد قمت بتقصّي الحقائق في عدّة قضايا قتل كان منها البيّن الواضح وكان منها قضايا استغلق علينا فهمها وعجَزنا عن إماطة اللثام عن سرّها لولا معاونتك التي يسّرَت لنا سبيل التوفيق في كشف النقاب عن غموضها. غير أن هذه القضية لم تكن غامضة منذ اكتشفت جريمتها، متّهَم تشير جميع الأدلّة إلى أنه اقترف الجريمة، ولم يستغرق المحلّفون أكثر من عشرين دقيقة لإصدار قرارهم، ومع ذلك لم يسبق لي إبان فترة خدمتي الطويلة أن شاهدت رجلاً بريئاً يُشنَق لجريمة لم يرتكبها ولا أريد أن أشاهد ذلك الآن يا سيد بوارو.

وعاد السكون ليخيّم من جديد على الغرفة، وأطرق الرجلان لحظة ثم رفع بوارو رأسه وهمّ بالكلام غير أن سبنس أدرك من نظراته ما كان يريد أن يقوله فاستوقفه بإيماءة من

يده قائلاً: أُدْرِك ما تريد أن تقول وسأوفّر عليك عناء السؤال. نعم، لقد عُهِد إليّ بهذه القضية وقد عُنيت بتقصّي الحقائق فيها وبذلت في سبيل ذلك أقصى ما في وسعي، وكانت جميع الأدلة تشير إلى شخص واحد، وقد قام رئيسي بعرض القضية على المدّعي العام الذي قرّر إقامة الدعوى إذ لم يكن بوسعه أن يفعل غير هذا، وهكذا صدر الأمر باعتقال جيمس بنتلي ومحاكمته وإدانته بناءً على ما بين أيدي المسؤولين من أدلة.

- ولكنك لست مقتنعاً بذلك على الرغم من تلك الأدلة.

- أجل.

- على أيّ أساس؟

- لست أدري، أعني أنني عاجز عن تقديم سبب قويّ لعدم اقتناعي. لقد بدا في نظر المحلّفين أنه القاتل، أمّا في نظري فلم يكن كذلك، وأنا أكثر منهم خبرة بالقتلة والمجرمين.

- أجل، أجل، أُدْرِك هذا.

- أنا لم ألمس فيه غرور القتلة، ذلك الغرور الذي يجعلهم يبدون وكأنهم بلغوا من الحذق حدّاً بعيداً أعجز الجميع، وأنت خير مَن يدرك هذا يا سيد بوارو.

- ألم يكن جيمس بنتلي من هذا الطراز؟

- نعم، لقد كان فزعاً متخاذلاً منذ البداية، وقد يرى

البعض في فزعه وتخاذله دليلاً على إدانته، أمّا أنا فلا.

- أنا متّفق معك. كيف يبدو ذلك الرجل؟

- إنه في الثالثة والثلاثين من عمره، متوسط الطول شاحب البشرة.

- لا أعني أوصافه البدنية، أعني مِن أيّ طراز هو؟

- إنه عصبيّ المزاج يتحاشى مواجهة نظراتك، وإن كان يختلس النظر إذا ما سنحت له الفرصة، وهو بهذه الصفات وبغيرها يعَدّ أسوأ مَن يمكن أن يواجه المحلّفين. هو خجول وأبعَد ما يكون عن الجرأة!

- يبدو من وصفك له ومن لهجتك أنه رجل لا يجتذب القلوب إليه.

- أجل، أو قُل إن صفاته هذه تنفِّر الناس منه، غير أن هذا لا يبرّر بحال أن يُعدَم شنقاً لذنب لم يرتكبه.

- وهل تعتقد أنه سيُعدَم؟

- هذا ما أعتقده، وحتى لو تقدّم محاميه بطعن في الحكم فهذا الطعن لن يقوم على سند موضوعي يكفل له النجاح.

- من الذي تولّى الدفاع عنه؟

- لقد انتدب غراي بروك للدفاع عنه، وقد بذل ذلك المحامي أقصى ما في وسعه في إطار الظروف القانونية والموضوعية التي سردتها عليك.

- يُخيَّل إليّ أن الرجل قد حُوكِم محاكمة عادلة وأنه

ليس كما تقول.

- ألا يكفي أنه سيُعدَم شنقاً لذنب لم يرتكبه؟! لقد كنت أنا القائم بالتحقيق وجمع الأدلة في تلك القضية، ولعلك تقدّر مدى ما يستبدّ بي من مشاعر.

وتفرّس هيركيول بوارو في وجه محدّثه وقال: والآن ماذا تريد على وجه التحديد؟

- قضية بنتلي منتهية بالنسبة لي، وقد عُهد إليّ بقضية أخرى ويجب أن أعود إلى اسكتلندا الليلة، ولم يكن ثمة من سبيل أمامي سوى أن ألجأ إليك. أنت رجل لا يقيّدك شيء والأمر يختلف بالنسبة لك؛ فقد توفَّق فيما أخفقت أنا فيه، وإن لك أسلوبك الخاصّ و...

فقاطعه بوارو قائلاً: لا تحاول إغرائي بمزيد من الإطراء. أنت صديق قديم ولستُ أرضى بأن ينغّص عليك حياتك خاطر يقضّ مضجعك، هذا علاوة على أن الرجل الذي لم يرتكب جريمة قتل لا يجب أن يُعدَم شنقاً.

وبعد أن تردّد قليلاً استطرد قائلاً: ولكن لنفترض أنه القاتل فعلاً.

- حينئذٍ أكون شاكراً لك إقناعي بما يريح ضميري.

- فليكن، ولتبدأ فوراً لضيق الوقت. متى وقع الحادث؟

- في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، وقد احتفظتُ بما دوّنته من مذكرات تلك القضية.

- حسناً، نحن بحاجة إلى استعراض الوقائع الأساسية مؤقّتاً، فإذا لم يكن جيمس بنتلي هو القاتل فمن عساه أن يكون؟

- لا أدري.

- هذا ما لا يجب أن نسلِّم به؛ فلكلّ جريمة دافع، وفي جريمة مقتل السيدة ماغنتي ماذا يمكن أن يكون الدافع؟ الحقد أم الانتقام أم الحسد أم الخوف أم المال؟ ولنأخذ الدافع الأخير في الاعتبار، فمن الذي استفاد من موتها؟

- كل ما لديها في صندوق الادخار بالمصرف كان مئتَي جنيه، وسترث ابنة أخيها هذا المبلغ.

- مبلغ مئتَي جنيه ليس بالمبلغ الكبير وإن كان له قيمته في بعض الظروف. هلاّ حدّثتني بأمر ابنة الأخ تلك.

- هي في الثامنة والعشرين من العمر ومتزوّجة برجل يقوم بأعمال الزخرفة، وهو شخص متّزن مستقيم موفّق في عمله، أمّا هي فامرأة خفيفة الظلّ ثرثارة تحبّ عمّتها، ولم تكن للاثنين حاجة إلى ذلك المبلغ. أمّا الكوخ فكانت السيدة ماغنتي تستأجره وكان الزوجان في غنى عنه لأنهما سعيدان في بيتهما العصري الذي يقيمان به.

- حسناً، والآن حدّثني عن السيدة ماغنتي نفسها.

- كانت في الرابعة والستين، أرملة تُوفّي زوجها منذ سبع سنوات إثر إصابته بالتهاب رئوي، وبعد وفاته عملت السيدة ماغنتي في بعض المنازل في قرية برودهيني، وهي قرية

صغيرة تصلها بكليشستر السيارات العامّة والقطارات وتبعد عن كولينكاي (المصيف المعروف) بنحو ثمانية أميال. وكان كوخ السيدة ماغنتي أحد أربعة أكواخ في القرية يشغلها مكتب البريد ومتجر القرية، ويقيم العمّال الزراعيون في الاثنين الآخرَين. وبعد وفاة زوجها أقام معها بعض السكان من الباطن وكان آخرهم جيمس بنتلي الذي أقام معها بضعة أشهر.

- وها نحن نصل إلى جيمس بنتلي أخيراً!

- كان جيمس بنتلي يعمل وسيط عقارات في كليشستر، وكان قبل ذلك يقيم مع والدته في كولينكاي ويقوم بالعناية بها لمرضها، ثم حدث أن تُوفّيَت فباع البيت الصغير وبحث عن عمل، وأخيراً التحق بشركة بريذر وسكاتل، وهي شركة متواضعة، ويبدو أنه لم يكن كفؤاً فاستغنت الشركة عن خدماته ولم يوفَّق في الالتحاق بعمل آخر فنفدت نقوده. وكان يدفع إيجار غرفته للسيدة ماغنتي بانتظام، وكانت تقدّم له طعام الإفطار وطعام العشاء في مقابل ثلاثة جنيهات أسبوعياً غير أنه توقّف عن سداد الإيجار طوال الشهرين الأخيرَين لنفاد موارده.

- وهل كان يعلم باحتفاظها بمبلغ الثلاثين جنيهاً في البيت؟ ولماذا كانت تحتفظ بذلك المبلغ في منزلها في حين كان لها حساب ادّخار في المصرف؟!

- لأنها كانت لا تثق في المصارف، وكانت تقول إنّ حسبهم المئتا جنيه وما زاد عن ذلك فستحتفظ به في منزلها. وقد سمع بعض الجيران هذا الكلام منها، وكانت تضع المبلغ تحت لوح من الخشب في غرفة نومها، وقد اعترف جيمس

بنتلي بأنه كان يعلم بوجود المبلغ في ذلك المكان.

- وهل كانت ابنة أخيها وزوجها يعلمان بهذا أيضاً؟

- نعم.

- لنعُدْ الآن إلى سؤالي: كيف ماتت السيدة ماغنتي؟

- لقد قرّر الطبيب الشرعي أن الوفاة كانت فيما بين الساعة السابعة والعاشرة من مساء يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر). وكانت قد تناولت طعام العشاء في نحو الساعة السادسة والنصف كعادتها، ويرجّح الطبيب أن الوفاة كانت بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة مساء على وجه التحديد، وقد قرّر جيمس بنتلي أنه كان يقوم بجولة في الخارج من الساعة السابعة والربع إلى قُبَيل التاسعة كعادته كل مساء، وقال إنه اتجه رأساً إلى غرفته بالطابق الأعلى، وبعد أن أمضى نصف ساعة في القراءة أوى إلى فراشه. وفي صباح اليوم التالي هبط إلى المطبخ حيث لم يجد ما كان يألفه من اهتمام السيدة ماغنتي بإعداد طعام الإفطار، وقال إنه طرق باب غرفة السيدة ماغنتي بعد برهة تردّد دون أن يجيبه أحد، وتبادر إلى ذهنه أنها ربما كانت مستغرقة في النوم وآثر ألاّ يواصل الطرْق على بابها. ثم كان أن قَدِم الخبّاز فصعد بنتلي إلى غرفة السيدة ماغنتي ليطرق الباب ثانية إلى آخر ما سبق أن سردته عليك. ومما هو جدير بالذكر أنه لم يثبُت من المعاينة أن أحداً اقتحم المنزل بالقوّة.

- وبناءً على ذلك يكون القاتل أحد اثنين: جيمس بنتلي أو شخص آخر فتحت السيدة ماغنتي له الباب في حين كان

بنتلي في الخارج؟

- تماماً، ولا بدّ أن يكون القاتل شخصية معروفة لديها من الجيران أو الأقارب. أمّا عن ابنة أخيها وزوجها فقد كانا بإحدى دور العرض في تلك الليلة، ولا يُستبعَد أن أحداً منهما غادر دار العرض خلسة وقطع مسافة الثلاثة أميال على درّاجة، وبعد أن قَتل المجني عليها وأخفى النقود خارج الكوخ عاد أدراجه إلى دار العرض دون أن يشعر به أحد في أثناء العودة. وقد بحثنا هذا الاحتمال وإن كنا لم نجد ما يؤيّده وتساءلنا عن السبب في إخفاء النقود بجوار الكوخ بدلاً من إخفائها في مكان آخر على امتداد الثلاثة أميال، والتعليل الوحيد لذلك هو...

فانبري بوارو يتمّ الجملة نيابة عنه قائلاً: هو أن القاتل يجب أن يكون مقيماً في الكوخ ولا يريد أن يخفي النقود في غرفته أو في مكان آخر بعيد، أيّ أنه يجب أن يكون جيمس بنتلي.

- أينما تُدير وجهك تجد بنتلي أمامك، ثم لا تنسَ آثار الدماء التي وُجدَت بكمّ معطفه.

- وماذا قال في تبرير ذلك؟

- قال إنها نتيجة لاحتكاكه بحانوت قصّاب في اليوم السابق، علماً بأن الدماء كانت دماء آدمية.

- وهل ظلّ ملتزماً بتلك القصّة؟

- لا، لقد عدل عنها في المحكمة. وقد كان مع الدم

بعض الشعرات ملتصقة بالكمّ واتضح أن تلك الشعرات مطابقة لخصلات شعر السيدة ماغنتي، وكان عليه بعد مواجهته بهذه الحقائق أن يوضّح السبب في التصاقها بكمّه، فاعترف بأنه كان قد دخل إلى الغرفة عَقِب عودته من جولته وذلك بعد أن طرق الباب عدّة مرّات وأنه وجدها مسجاة فوق أرض الغرفة فحاول أن يستوثق من وفاتها، وما إن اقترب منها حتى أثاره منظر الدماء فهرع إلى غرفته منهاراً حيث فقد وعيه، وفي الصباح لم يقوَ على الاعتراف بما حدث.

- يا لها من قصّة تثير الشكوك!

- ومع ذلك فلماذا لا تكون هذه هي الحقيقة؟

- صحيح أنها قصّة لا يمكن تصديقها غير أنني التقيت بأناس من هذا الطراز ممن يُرْتَجُ عليهم القول عندما يواجَهون بالواقع أو يُسْقَط في أيديهم إزاء حادث مثل هذا ولا يستطيعون حراكاً، فلا يقومون بما يقوم به غيرهم من الاتصال بالجيران أو الشرطة ويرون أنه من الخير لهم تجاهُل ما قادتهم الصدفة إلى مشاهدته، فينأون بأنفسهم عن موطن الشبهات وكأن شيئاً لم يكن. هذا هو تصوّري لما حدث.

وراح سبنس يتأمّل بوارو الذي كان مستغرقاً في التفكير مقطب الجبين، ولاذ كل من الرجلين بالصمت برهة.

* * *

الفصل الثالث

قال بوارو بعد صمته: لننتقل الآن إلى بحث نظريات أخرى. هل كان للسيدة ماغنتي أعداء أو كانت تخشى أحداً؟

- لم نستدلّ على شيء من ذلك.

- وما أقوال جيرانها؟

- ليس فيها ما يغني، ولا أعتقد أنهم يخفون شيئاً. لقد قالوا إنها كانت منطوية على نفسها وليس لها أصدقاء مقرّبون.

- منذ متى أقامت في تلك القرية؟

- منذ عشرين عاماً تقريباً.

- وماذا عن حياتها قبل ذلك؟

- هي ابنة فلاّح من شمال ديفون، وبعد زواجها أقامت في ألفرا كومب لفترة ما ثم انتقلت إلى كليشستر ومنها إلى برودهيني، وكان زوجها رجلاً هادئ الطبع مرهف الحسّ محترماً لا يختلط بالناس، ولم يكن في حياتها شرّ أو غموض

أو ما يعاب عليها.

- ومع ذلك قُتلَت.

- أجل، ومع ذلك قُتلَت!

- ألا تعرف ابنةُ الأخ أحداً يكِنّ لعمّتها ضغينة أو حقد؟

- لقد نفَت ذلك.

- لعلك متّفق معي يا صديقي على أن هذه القضية من الممكن أن تكون أيسر سبيلاً لو لم تكن السيدة ماغنتي هي السيدة ماغنتي، أي لو كانت امرأة لها ماضٍ، أليس كذلك؟

- هذا ما لا يمكن أن يقال عنها؛ فهي لم تكن بأكثر من السيدة ماغنتي، المرأة غير المتعلّمة التي تؤجِّر غرفة في منزلها شأنها شأن غيرها من بعض نساء إنكلترا.

- لنعُدْ إلى استعراض الوقائع. امرأة عجوز قُتلَت ورجل خجول متخاذل يُقبَض عليه ويُدان بجريمة قتلها، فلماذا أُلقي القبض على جيمس بنتلي؟

- بسبب الأدلّة التي اجتمعت ضدّه كما قلت لك.

- أجل، ولكن أخبرني يا صديقي العزيز، هل كانت أدلّة حقيقية أم مفتعَلة؟

- مفتعَلة؟!

- نعم؛ فنحن إذا ما سلّمنا ببراءة بنتلي كان أمامنا احتمالان، أولهما أن تكون الأدلّة مفتعلة بقصد إثارة الشكوك مِن حوله، والثاني أن يكون بنتلي الضحيّة التعيسة لبعض

الظروف والملابسات.

- أنا أُدْرِك ما ترمي إليه.

- هلاّ حدّثتني عن جيمس بنتلي وعن كل ما تعرفه عنه؟

- لم أعرف عنه الكثير، لقد كان والده طبيباً تُوفّي وابنه لم يتجاوز التاسعة من عمره، فأقام الابن الضعيف البنية مع والدته التي اعتلّت صحّتها فيما بعد. هل لديك فكرة معيّنة واضحة؟

- أنا لم أقتنع بشيء بعد، ولكنني أزعم أن أمامنا خطّين واضحَين للبحث وأن علينا أن نقطع برأي فوراً فيما يجب أن نتبعه منهما.

- سيد بوارو، حدّثني بما أنت فاعل على وجه التحديد، هل يمكن أن أقوم بشيء لمعاونتك؟

- أريد أولاً أن أجتمع ببنتلي.

- سأدبّر لك أمر هذا اللقاء وسأتصل بمحاميه لهذا الغرض.

- وبناءً على ما أتوصّل إليه من نتائج سأسافر إلى برودهيني حيث أستعرض جميع الحقائق التي توصّلتَ أنت إليها لعلني أن أتبيّن جديداً؛ فردود الفعل تختلف من إنسان لآخر. هل يمكن أن أجد في برودهيني فندقاً مناسباً؟

- يوجد في المنطقة فنادق لا بأس بها، كما يوجد في برودهيني ما يشبه النُزُل حيث يستقبل الزوجان الشابان

الضيوف نظير أجر معيّن.

- مهما يكن من أمر فيجب أن أعدّ نفسي لجميع الاحتمالات.

- وهل ستعلن عن حقيقة شخصيتك؟

- بكل تأكيد؛ فليس لدينا متّسع من الوقت. سأعلن على الملأ أني أنا هيركيول بوارو نابغة البحث والتحرّي والكشف عن أسرار الجرائم، وسوف أُلَمِّح إلى أنني أعرف أشياء كثيرة وأردّد أنني غير مقتنع بالحكم في قضية مقتل السيدة ماغنتي وأنني أشك في أن ثمّة ملابسات أخرى لهذه القضية، وبعد أن يُنتِج هذا التصريح أثَره أتابع عن كثب ردّ الفعل في نفس كل من ألتقي به.

فحدجه سبنس بنظراته قائلاً: أرجو ألاّ تزجّ بنفسك في مواقف محرِجة يا سيد بوارو!

* * *

الفصل الرابع

وقف بوارو ينظر فيما حوله على مضض وكان كل ما في الغرفة لا يبعث في النفس الشعور بالراحة؛ فقد كانت الغرفة فسيحة سيّئة الزخرفة متهالكة الأثاث، وكانت إحدى نوافذها مفتوحة وبابها لا يمكن إحكام إغلاقه فكان يفتح على مصراعيه مع كل هبّة ريح. وقال بوارو يحدّث نفسه: ما أشدّ ما أُعاني!

وفتح الباب ومع الريح أقبلت السيدة سمرهايز وراحت تدور بعينيها فيما حولها. كانت سمراء الشعر غير جذّابة الوجه كثيرة الحركة، وكانت تحمل بين يديها وعاءً كبيراً.

فقالت: هل تأذن لي بتنقية الفول هنا؟

- هذا من دواعي سروري يا سيدتي.

ولم يكن سروره لأنها ستتّخذ من غرفته مطبخاً، بل كان سروره لتلك الفرصة التي أُتيحت له لتبادل الحديث مع شخص بعد أربع وعشرين ساعة من قُدومه إلى برودهيني.

وألقت السيدة سمرهايز نفسها فوق أحد المقاعد وقالت له وهي مُكِبّة على ما بين يديها: أرجو أن أُوفَّق في العمل على

راحتك وأن تبدي لي ما يعنّ لك من رغبات وملاحظات.

- شكراً لك يا سيدتي، كم كان بودّي أن أزوّدك بما يناسبك من خَدم!

- خَدم؟! هذا الأمر يكاد يكون متعذّراً بعد مقتل...

- أتعنين السيدة ماغنتي؟

- نعم، وهذا لسوء حظي؛ فهي لا تعوَّض.

- هل كنتِ وثيقة الصلة بها؟

- كنت أعوِّل عليها في أشياء كثيرة، فقد كانت تحضر يوم الإثنين مساءً والخميس صباحاً بانتظام، والآن تقوم على خدمتنا تلك المرأة التي من ناحية المحطة، وهي متزوّجة ولها خمسة أطفال وطبيعي ألاّ تنتظم في مواعيدها لكثرة أعبائها العائلية.

- وهل كنت تولِين السيدة ماغنتي ثقتك المطلقة؟

- كل الثقة؛ لفرط أمانتها ولأنها كانت تتعب كثيراً.

وظهر وجه الميجور سمرهايز في النافذة فأسرعت السيدة سمرهايز بالنهوض عن مقعدها وهرعت إلى النافذة وفتحتها على مصراعيها، فقال زوجها: مورين، لقد التهم هذا الكلب اللعين طعام الدجاج!

وعلى الفور خرجت مورين للحاق بزوجها، وأسرع بوارو بإغلاق النافذة ولكنه سمع صوت الزوج يقول لزوجته: ما رأيك في هذا الساكن الجديد؟ هو يبدو غريب الأطوار. ما

اسمه؟ لقد نسيته.

- لا أذكر من اسمه سوى كلمة «بوارو». إنه فرنسي.

- يخيل إليّ أنا سمعت بهذا الاسم من قبل، ومهما يكن من أمر فمن الخير أن تقتضي منه الأجر مقدّماً.

ولم يسمع بوارو شيئاً بعد ذلك وراح يلتقط حبّات الفول التي سقطت من السيدة سمرهايز حين نهضت مسرعة، وما إن فرغ من ذلك حتى رآها مقبلة فقدّم لها ما التقطه بأدب جمّ، وشكرت له السيدة سمرهايز صنيعه فاستأذنها في إغلاق الباب، واعتذرت له عن إهمالها وعن سوء حالة البيت القديم وقالت موضّحة: لقد ورثه زوجي عن والدَيه، وعند عودتنا من الهند أقمنا به ولم تُجْرِ به أيّ إصلاح نظراً لحالتنا المالية السيئة، ولولا ما نقتضيه من النزلاء من أجر لكانت حالتنا المالية أكثر سوءاً.

- وهل أنا النزيل الوحيد في الوقت الحاضر؟

- توجد سيّدة متقدّمة في السنّ بالطابق الأعلى، وقد لزمَت فراشها منذ قدومها وإن كنت أرى أن حالتها الصحّية لا تستدعي ذلك، وهي راحلة غداً إلى إحدى قريباتها. وبهذه المناسبة، هل لديك مانع من دفع إيجار الأسبوع مقدّماً لأن متعهّد الأسماك قادم بعد قليل؟ أنت ستقيم معنا أسبوعاً، أليس كذلك؟

- ربما أكثر.

- آسفة لمضايقتك، لقد اضطررت إلى ذلك لأنني لا

أمتلك نقوداً تفي بسداد المطلوب منّي، وأنت أدرى بهؤلاء القوم.

- أرجوك ألاّ تعتذري، وسأزيدك إيضاحاً عن شخصيتي، أنا هيركيول بوارو.

ولم يبدُ على السيدة سمرهايز أن الكشف عن شخصيته قد أنتج أثره المرتقَب، فقالت: يا له من اسم جميل. أنت يونانيّ، أليس كذلك؟

- أنا شرطي سرّي، بل ربما كنت أكثر الشرطيين السرّيين شُهرة.

فقالت السيدة سمرهايز بدهشة: لا شك أنك تمزح! عن أيّ شيء جئت تتحرّى؟! رماد لفافة تبغ أم آثار أقدام؟!

- جئت أتقصّى الحقائق في مقتل السيدة ماغنتي، ولست بالهازل.

- وهل تعني ما تقول حقاً؟! لقد انتهى التحقيق في تلك القضية وأسفر عن اتهام ذلك الساكن التعيس ومحاكمته وإدانته، وربما يكون قد نُفّذ فيه حكم الإعدام شنقاً.

- لا يا سيدتي؛ حكم الإعدام لم يُنَفّذ بعد، كما أن قضية مقتل السيدة ماغنتي لم تنتهِ فصولاً. وبهذه المناسبة أنا لن أتناول طعام الغداء هنا اليوم.

* * *

الفصل الخامس

- لستُ على علم بهذا فحسب، بل أنا واثقة جداً.

هذا ما ردّدته السيدة بورك أكثر من مرة، وكان عدم ثقتها بالرجل الأجنبيّ ذي الشارب الأسود الذي يرتدي ذلك المعطف المحلّى بالفراء هو الذي حدا بها إلى التصريح بهذا بلهجة قاطعة، واستطردت قائلة: لم يكن مقتل عمّتي وما أعقبه من أسئلة رجال الشرطة وتحرّياتهم بالأمر الهيّن، فقد كان هذا الحادث مصدر إزعاج كبير لنا، وكنت أعتقد أن كل شيء قد انتهى وولّى.

- هَبِي أن جيمس بنتلي بريء بعد كل ما جرى.

- هراء؛ فهو مرتكب هذه الجريمة دون أدنى شك، ونظراته كانت تكشف عن جرمه، وقد نصحت عمّتي بأنها ما كان ينبغي أن تقبله ساكناً في بيتها لأني لم أطمئنّ إليه منذ رأيته يطوف في البيت ويتمتم بكلام غير مفهوم.

ونظر إليها بوارو مليّاً. كانت امرأة بَدينة موفورة الصحّة، وكان منزلها الصغير نظيفاً أنيقاً تفوح منه رائحة طلاء الأثاث الجديد، كما اشتمّ رائحة الشواء المثيرة للشهية تنساب من

المطبخ، ورأى فيها بوارو الزوجة المثالية التي تعنى بنظافة بيتها وإعداد طعام شهيّ لزوجها، لا المرأة التي تجترئ على قتل عمّتها أو تتآمر مع زوجها على هذا.

وأقرّ بوارو وجهة نظر سبنس بالنسبة لاستبعاد آل بورك من قائمة الاتهام وراح يستفسر منها عن جميع ظروف عمّتها وأحوالها، وفي أثناء استماعه إليها أدرك أنها لا تعرف الكثير عن عمّتها وأن الروابط العائلية لم تكن وثيقة بين أفراد الأسرة، وعرف فيما عرف أن السيدة ماغنتي كانت تحبّ القطط ولا تحبّ الكلاب، وتحبّ الأطفال ولكن بقدر ضئيل، وكانت منطوية على نفسها تؤمّ دار العبادة يوماً في الأسبوع ولا تشترك في أيّ نشاط ديني، ولم تكن تتردّد على دور العرض أو تقرأ الكتب وإن كانت تطّلع على بعض الصحف والمجلات. صفوة القول أن السيدة ماغنتي بكل ما سمعه عنها بوارو كانت صورة طبق الأصل عن السيدة ماغنتي التي رسمها في خياله، كما كانت بيسي بورك ابنة أخيها هي بيسي بورك التي وصفها المفتش سبنس في مذكراته.

وقبل أن يستأذن بوارو في الانصراف كان جو بورك قد عاد إلى منزله لتناول طعام الغداء. كان رجلاً قصير القامة لا يبعث في النفس الثقة، عصبيّ المزاج وإن كان قد حرص على أن يكون أكثر تعاوناً مع زوجته ولو من الناحية الشكلية. وتبيّن بوارو من ذلك حرصه على حسن العلاقة بينه وبين رجال الشرطة أو من يتصل بهم مما يوحي بأن ثمة ما يثقل ضميره، وإن كان ليس من المحتَّم أن يكون لهذا صلة بمقتل السيدة ماغنتي، أو لعل لذلك الحرص صلة بمقتل تلك المرأة. ولماذا

لا يكون جو بورك هو الذي تسلّل خلسة من دار العرض وطرق باب العمّة وارتكب جريمته ثم عاد أدراجه إلى مقعده طمعاً في مدّخرات المرأة في المصرف، ولم يكن ما بدا في الغرفة من فوضى سوى ستار للتعمية ولاتهام جيمس بنتلي؟ ثم لماذا لم يُعثَر على السلاح المستعمل في الجريمة؟ لقد قيل إنه آلة ثقيلة بطرف حادّ، فهل أُخفيَت أداة الجريمة لأنه كان من السهل التعرّف عليها كقطعة من أدوات منزل آل بورك؟ هل هي تلك الأداة التي تشبه الساطور على حدّ وصف الطبيب الشرعيّ قد نُظّفَت وطُلِيَت وأُعيدَت إلى مكانها؟ لقد بحث رجال الشرطة عن تلك الأداة دون أن يوفّقوا في العثور عليها أو الاهتداء إلى مصدرها، وتلك إحدى النقاط التي أُغفلَت وكان يمكن أن تؤدّي إلى نتيجة تعَدّ دليلاً في مصلحة بنتلي.

* * *

الفصل السادس

أُذِن لبوارو بالدخول إلى مكتب السيد سكاتل بشركة بريذر وسكاتل، واستقبل السيد سكاتل بوارو قائلاً: طاب صباحك يا سيدي، هل من خدمة نؤدّيها؟

وصعد بوارو بعينيه وكأنه يحاول تقييمه، فرأى فيه رجلاً أجنبيّاً يرتدي فاخر الثياب بما يدلّ على ثرائه. قال بوارو: أرجو ألاّ أستغرق من وقتك كثيراً، لقد جئت لأتحدّث معك عن الموظف السابق جيمس بنتلي.

- جيمس بنتلي؟ جيمس بنتلي؟! هل أنت صحفيّ؟

- لا.

- ولا شرطيّ؟

- على الأقل لست من شرطة هذه البلاد.

- وماذا تريد على وجه التحديد؟

- أنا أُعيد التحرّي عن وقائع قضية جيمس بنتلي بناءً على طلب بعض أقاربه.

- لم أعرف أن له أقارب! ولكن دعنا من هذا. لقد ثبتت

إدانته وحُكِم عليه بالموت شنقاً كما تعرف.

- ولكن الحكم لم يُنفّذ بعد.

- بما يعني أن ثمة أملاً، ومع ذلك فأنا ضعيف الأمل لأن الأدلّة كانت قوية ضدّه. مَن أقاربه الذين عهدوا إليك بإعادة تقصّي حقائق القضية؟

- ليس في وسعي أن أقول لك أكثر من أنهم من الأثرياء ذوي النفوذ.

- أنت تثير دهشتي؛ فما سمعته الآن مفاجأة غير متوقّعة!

- لقد عمدَت والدة بنتلي إبّان حياتها إلى ما أدّى إلى القطيعة بين ابنها وبين أسرتها.

- مما يؤسَف له أن هؤلاء الأقارب لم يتحرّكوا إلى نجدته من قبل.

- هم لم يعلموا ما حدث إلا أخيراً، وقد سألوني أن أُسْرِع إلى هنا وأن أبذل أقصى ما في وسعي.

فاضطجع السيد سكاتل في مقعده قائلاً: لست أدري ماذا بوسعي أن أفعل.

- سيدي، لقد كان جيمس بنتلي يعمل هنا ويمكنك أن تحدّثني عنه قليلاً.

- القليل الذي لا غناء فيه! لقد كان أحد صغار موظفينا وليس لدينا شيء ضدّه، وكان شابّاً وديعاً ولكنه لم يكن كفؤاً في عمله؛ فعملنا هو بيع وشراء البيوت والعقارات وقد كان

استعداده لمزاولة هذا العمل ضعيفاً.

- وما الانطباع الذي خلّفه جيمس بنتلي في نفسك؟ هل تعتقد أنه قتل المرأة العجوز؟

فحملق سكاتل فيه بعينيه قائلاً: بكل تأكيد.

- وهل تعتقد أنه الرجل الذي يُقدِم على مثل تلك الجريمة من ناحية استعداده نفسياً؟

- في حدود سؤالك بهذه الصيغة لا.

- هل كانت لديك أسباب خاصة لفصله من العمل؟

- لا؛ فقد كانت حالة العمل سيّئة مما ترتّب عليه ضرورة الاستغناء عن خدمات أحد الموظفين، ولما كان بنتلي الأقل كفاءة فقد وقع الاختيار عليه. وعلمت أنه لم يلتحق بعمل آخر لأنه لم يكن يلقى قبولاً ممن يلتقون به.

ودار بخلد بوارو وهو في طريقه بعد مغادرة الشركة أن جيمس بنتلي سيئ الحظ فيما يخلفه من أثر في نفس كل من يعرفه.

* * *

- معذرة، هل تأذن لي بالجلوس للتحدّث معك؟

وكان بوارو جالساً إلى مائدة صغيرة في مطعم بلو كات، وكان عاكفاً على دراسة قائمة الطعام حين فوجئ بهذا السؤال، فراح يتأمّل الفتاة التي جلست قبالته لتشاركه مائدته، وكانت ذهبية الشعر ترتدي ثوباً أنيقاً، وتبادر إلى ذهن بوارو أنه رأى

تلك الفتاة من قبل. واستطردت الفتاة قائلة: لقد سمعت بعض ما تحدّثت به إلى السيدة سكاتل.

وأومأ بوارو برأسه.

- الأوضاع في مكاتب الشركة لم تُراعَ فيها السرّية التامّة لأن العمل لم يكن يقتضي هذا.

فعقّب قائلاً: لقد رأيتك جالسة إلى الآلة الكاتبة بجوار النافذة الخلفية، أليس كذلك؟

فأومأت برأسها وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة مثيرة، فتأمّلها بوارو بإعجاب وتقدير لجمالها وسمعها تقول: لقد أتيتك بشأن السيد بنتلي.

- وماذا عن السيد بنتلي؟!

- هل سيستأنف الحُكْم؟ وهل يعني هذا أنه ثمة أدلّة جديدة؟ لئن صحّ هذا لَسُرِرتُ أيّما سرور لأنني لا أصدّق أنه ارتكب ما نُسب إليه.

- إذن فقد كنت مقتنعة دائماً ببراءته، أليس كذلك؟

- لم يكن هذا لأوّل وهلة رغم إحساسي بأن ثمة خطأ ما، ولكن الأدلّة كانت قوية فتبادر إلى ذهني أنه ربما قد أُصيب بلوثة.

- هل كنت ترَين فيه شاباً غريب الأطوار؟

- لا، كل ما في الأمر أنه كان خجِلاً منطوياً على نفسه ضعيف الثقة بالناس وبنفسه.

وعاد بوارو يتأمّلها وبادرها بسؤاله: هل كنتِ معجبة به؟

- نعم، وكانت زميلتي آمي تسخر منه وكنت أخالفها في الرأي وأُعجب به كشابّ رقيق مؤدّب. وشعرت بأنه يفتقد والدته التي ظلت مريضة فترة طويلة من حياتها، وكان قد بذل أقصى ما في وسعه للعناية بها ورعايتها.

- هل كنتما صديقَين؟

- لست أدري، فقد كنا نتجاذب أطراف الحديث أحياناً، إلاّ أننا بعد فصله من الشركة لم نكن نلتقي كثيراً.

- ولكنك ما زلتِ معجبة به.

- أجل، هذا هو الواقع.

وعادت ببوارو الذاكرة إلى يوم زيارته للسجين المحكوم عليه بالإعدام، وكان قد أُتيح له في ذلك اللقاء أن يتأمّله جيداً وأدرك من كل شيء فيه السرّ فيما يخلفه من طابع سيئ في نفس كل من يلقاه، غير أنه لم يخلف هذا الأثر في نفس المفتش سبنس الخبير بالرجال ولا في نفس هيركيول بوارو، وها هي تلك الفتاة بدورها لم تتأثّر بما تأثّر به الناس.

- ما اسمك يا آنستي؟

- مود وليامز. هل ثمة ما يمكن أن أقوم به؟

- نعم، هذا ما أعتقده. ثمة من يؤمن ببراءة جيمس بنتلي وهم جادّون في إثبات ذلك، وقد عهدوا إليّ بتقصّي حقائق هذه القضية على أساس جديد، وقد أحرزت تقدّماً لا بأس

به في هذا الأمر.

ولم يُرْتَجْ عليه القول أو يتلعثم وهو يلقي بتلك الأكذوبة؛ فهي أكذوبة بيضاء لا ضير منها، ومود وليامز سوف تتحدّث بما سمعَت وسوف يصل حديثها إلى مسامع من يجب أن يتأثّروا به.

ثم استطرد قائلاً: قلتِ إنكما كنتما تتجاذبان أطراف الحديث، فهل قال لك يوماً إنه هو أو والدته كانا على علاقات سيئة بأحد؟

- لا، كل ما في الأمر أن والدته لم تكن تحبّ الفتيات كثيراً.

- أمّهات البنين الشديدي التعلّق بهنّ لا يحببن الفتيات عموماً، ولكنني لست أعني هذه الحالة وإنما أعني الخصومات العائلية أو من يحمل لهما ضغينة.

- لم أسمع منه شيئاً من ذلك.

- ألم يسبق أن حدّثك عن السيدة ماغنتي؟

- لم يتحدث عنها بالاسم، وكان حديثه عابراً عمّا تُقدّمه له أحياناً من طعام أو عن حزنها لفقد قطّتها.

- ألم يذكر لك أنه يعرف أين كانت السيدة ماغنتي تخفي نقودها؟ أرجو أن تصدُقيني القول.

فامتقع وجه الفتاة ثم تمالكت رباطة جأشها قائلة: الواقع أنه فعل ذلك، كنا نتحدّث عمّن لا يثقون بالمصارف فقال

إن سيدة الدار تحتفظ بنقودها تحت لوح من أرضية غرفتها، وعاب عليها هذا الإهمال.

- حسناً، لئن كان مجرماً بالسليقة لما قال لك ذلك، ولو كان قد دار بخلده يوماً ما أن يسرق ذلك المبلغ ما تحدّث بأمره إليك. هذه نقطة في صالحه.

وبادرته مود وليامز مستفسرة: مهما يكن من أمر فهناك شخص ما قد قتل السيدة ماغنتي.

- هذا بديهيّ.

- ومن عساه أن يكون؟ أليست لديك أية فكرة؟

- بلى، ولكنني ما زلت في بداية الطريق.

وألقت الفتاة نظرة على ساعة يدها ثم قالت: يجب أن أعود أدراجي الآن، أرجو أن تتصل بي إذا كان ثمة ما أستطيع عمله.

وأخرج بوارو إحدى بطاقاته ودوّن بها عنوانه في لونغ ميدوز ورقم هاتفه، واكتشف في أسىً أن اطّلاعها على اسمه لم يُحدِث في نفسها الأثر المرتقَب. إن الجيل الجديد قاصر المعلومات لا يعرف شيئاً عن الشخصيات المرموقة!!

* * *

الفصل السابع

لا يبعد الكوخ الذي كانت تقيم به السيدة ماغنتي عن محطة السيارات سوى بضع خطوات، وكان هناك طفلان يلهوان أمام الكوخ فطرق بوارو الباب بشدّة وأطلّت امرأة من ركن البيت تنهر الطفلين، فلمّا تبيّنَت أن الطارق رجل أومأت إليه أن يتجه إلى الباب الخلفي قائلة: أنا أُحكِم رتاج الباب الأمامي.

وخطا بوارو إلى مطبخ قذر وسمع المرأة تقول له: هي لم تُقتَل هنا، فقد قُتلت في الردهة. أنا أعرف أنك قادم بشأن هذا الحادث، أنت السيد الأجنبي المقيم في دار آل سمرهايز، أليس كذلك؟

- يبدو أنكِ تعرفين كل شيء عني يا سيدتي...

- السيدة كيدل، زوجي عامل بلاط، وقد اتخذنا من هذا الكوخ مسكناً منذ أربعة أشهر. هل تريد أن تلقي نظرة على مكان الحادث؟ هلمّ معي لمعاينة الغرفة.

وتبعها بوارو إلى غرفة صغيرة تبيّن أنها غير مستعملة إلا كمخزن لبعض قطع الأثاث.

قالت السيدة كيدل: كانت مسجاة فوق الأرض وقد انشطر رأسها من الخلف، أمّا النقود فقد سُرقَت من الطابق الأعلى.

وارتقت السيدة كيدل الدرَج يتبعها بوارو إلى غرفة نوم بها فراش نحاسيّ كبير وبعض المقاعد ومجموعة من ملابس الأطفال، فنظر بوارو فيما حوله قائلاً: أعتقد أن هذا الأثاث ليس من متعلّقات المجني عليها، أليس كذلك؟

- بلى، لقد تسلّمَت ابنة أخيها المقيمة في هوالا فون كل ما تركته.

إذن فلم يبقَ شيء من مخلّفات ماغنتي، وها هم آل كيدل قد غزوا مسكنها. حقاً، الحياة أقوى من الموت!

ورأى بوارو أنه لا يوجد بالبيت ما يستدعي بقاءه فغادره إلى المنزل المجاور.

* * *

- نعم يا سيدي، أنا التي عثرت عليها.

قالت هذه الجملة السيدة إليوت بلهجة مسرحية، وكانت سيدة ممشوقة القوام سوداء الشعر مزهوّة بتلك اللحظة الفريدة في حياتها. واستطردت تحكي قصّتها قائلة: أقبل لاركن الخبّاز يطرق الباب قائلاً إن السيدة ماغنتي لا تجيب ويبدو أنها ليست بخير، وهذا ما تبادر إلى ذهني لأنها امرأة متقدّمة في السنّ وكنت أعرف أن قلبها ليس على ما يرام، فهرعت إلى غرفة نومها والتقيت ببنتلي في طريقي وكان شاحب الوجه،

وأسرعت بدخول الغرفة لأجدها في حالة شديدة من الفوضى وأحد ألواح الأرضية قد نُزع من مكانه فأدركت أن في الأمر سرقة، غير أن السيدة ماغنتي لم تكن موجودة فرأينا أن نبحث عنها في قاعة الاستقبال حيث وجدناها على الأرض وقد شُجّ رأسها. ولم يكن ثمة شك في أننا أمام جريمة قتل، قتل وسرقة، هنا في برودهيني! فصرختُ وتوالى صراخي إلى أن أغمي عليّ.

- متى رأيتِ السيدة ماغنتي آخر مرة؟

- فيما أظن في اليوم السابق حينما كنا بالحديقة الخلفية.

- ألم تحدّثك بشيء؟

- ليس بأكثر من التحية العادية والسؤال عن الأحوال.

ورأى بوارو أن يفاجئها بسؤاله فقال: هل كان اعتقال بنتلي مفاجأة لك؟

- نعم ولا. لقد كنت أرى فيه دائماً أنه رجل غير طبيعي ومن الطراز الذي ينحرف به شذوذه إلى ارتكاب مثل هذه الأفعال، وكان يخلق بهم أن يودِعوه مصحّة للأمراض العقلية بدلاً من تسليمه للجلاّد، فقد كانت نظرة عينيه إلى المكان الذي أخفى فيه النقود بحيث يسهل العثور عليها نظرة تدلّ على مدى تخلّفه عقلياً، ما لم يكن يبغي بذلك أن يعثر عليها فعلاً.

فردّ بوارو: ما لم يكن يبغي أن يُعثَر عليها. ألم تفقدي من

أدواتك المنزلية ساطوراً أو بلطة؟

- لا، وقد سألني رجال الشرطة عن هذا كما سُئل جميع الجيران. إن الأداة المستعملة في الجريمة ما زالت سرّاً مغلقاً.

* * *

واتجه بوارو إلى مكتب البريد وتقدّم لشراء بعض الطوابع، وهرعت إليه امرأة في منتصف العمر تشعّ عيناها ذكاء، فقال يحدّث نفسه: هنا ذهن قرية برودهيني المتوقّد.

كانت تُدْعى السيدة سويتي مان وقد قامت على خدمته في نشاط وترحاب، وكانت تتفرّس فيه بعينيها النافذتين فقال يُرضِي فضولها: أنا غريب عن هذه المنطقة.

- هذا ما توقّعته يا سيدي. أنت قادم من لندن، أليس كذلك؟

- لقد كنت أتوقّع أنك على عِلم بمهمّتي هنا.

- لا يا سيدي، ليست لديّ فكرة عن سبب قُدومك.

فابتسم بوارو وقال دون مقدّمات: السيدة ماغنتي.

- يا له من حادث مفجع!

- هل كانت لك معرفة بها؟

- نعم، كما يعرفها غيري في برودهيني، وكانت تقضي معي بعض الوقت هنا حينما تقدم لشأن من شؤونها. يا لها من مأساة! لقد سمعت أنها لم تنتهِ فصولاً بعد.

- البعض يرتابون في إدانة جيمس بنتلي.

- هذه ليست أول مرة تخطئ فيها الشرطة في اتهام رجل بريء، وإن كنت لا أزعم أنها فعلت ذلك في هذه القضية كما أني لم أكن أتوقّع منه أن يفعل ما نُسب إليه وهو الرجل الخجول الذي لا يبدو منه ما ينبئ عن مدى خطورته.

- هل تحدّثَت السيدة ماغنتي أمامك عن ضيقها بأحد أو خوفها منه؟

- لا، لقد كنت أرى فيها امرأة هادئة الأعصاب، كما كنت أعرف أنها تعمل أحياناً إلى ساعة متأخرة من الليل في منزل السيدة كاربنتر حينما يكون لديهم مدعوون إلى العشاء، ولو كانت تخشى أحداً لما رضيَت أن تعود إلى منزلها في جنح الظلام.

- هل لك معرفة بابنة أخيها السيدة بورك.

- مجرّد معرفة سطحية، فقد كانت تحضر أحياناً لزيارتها ومعها زوجها.

- وهل كانت السيدة ماغنتي معجَبة بابنة أخيها؟

- نعم، بأسلوبها الهادئ.

- وزوجها؟

- نفس الوضع بقدر ما أعلم.

- متى رأيت السيدة ماغنتي لآخر مرة؟

- في اليوم السابق لوفاتها فيما أعتقد. لا، في اليوم

الأسبق، يوم الإثنين، وكان مقتلها في يوم الأربعاء. نعم، وكانت قد جاءت لشراء زجاجة حبر.

- زجاجة حبر؟

- لعلها كانت تريد أن تكتب رسالة ما.

- وهل كانت على عادتها؟ ألم يبدُ أنها غير طبيعية؟

- لا أذكر على وجه التحقيق.

وهنا أسرعت فتاة تُدْعى إدنا لتقف إلى جانب السيدة سويتي مان وقد بدا أنها كانت تنصت لما يدور من حديث فقالت: هي لم تكن على مألوف عادتها، لقد لاحظت أنها كانت مسرورة لشيء ما.

فأردفَت السيدة سويتي مان قائلة: ربما كنت مصيبة فيما تقولين وإن كنت لم أتبيّن ذلك في حينه.

- ألا تذكرين شيئاً مما تحدّثَت به في ذلك اليوم؟

- لا أذكر أنها تحدّثَت عن جيمس بنتلي، ولكنها تحدّثَت عن آل كاربنتر وعن السيدة أبوارد حيث كانت تعمل.

- كنت أريد أن أسألك عن الأماكن التي اعتادت أن تعمل بها.

- كانت تعمل في يومَي الإثنين والخميس عند السيدة سمرهايز في لونغ ميدوز. أحسبك تقيم لديهم، أليس كذلك؟

- بلى، لأنني لم أجد مكاناً آخر.

- وأعتقد أنك لا تجد راحتك حيث تقيم؛ فالسيدة سمرهايز ليست ربّة موفّقة. ولنعُدْ إلى تقسيم أيام عمل الأسبوع بالنسبة للسيدة ماغنتي، فقد كانت تذهب صباح الثلاثاء إلى الطبيب ريندیل، وبعد الظهر إلى السيدة أبوارد وهي سيّدة متقدّمة في السنّ تقيم مع ابنها في لابورتمز، والأربعاء إلى السيدة ويذربي بهنترز كلوز، ويوم الجمعة إلى السيدة سكيرك التي تُدْعى الآن السيدة كاربنتر.

وبتلك المعلومات عن سكان قرية برودهيني غادر بوارو مكتب البريد وسار على مَهل في اتجاه لونغ ميدوز، وحين استعرض جهود يومه انتهى من ذلك إلى أنه لم يفُز منها بطائل؛ فكل ما اجتمع لديه من معلومات هو أن لجيمس بنتلي صديقة واحدة وأنه لم يكن له أعداء لا هو ولا السيدة ماغنتي وأن السيدة ماغنتي ابتاعت زجاجة حبر.

وتوقّف بوارو عن السير، فقد تساءل عمّا كانت تبغيه السيدة ماغنتي من زجاجة الحبر، وأجابته السيدة سويتي مان أنها كانت تريد أن تقوم بتحرير رسالة. تُرى لمن حرّرَت السيدة ماغنتي تلك الرسالة قبل وفاتها بيومين ولماذا؟

* * *

الفصل الثامن

قالت السيدة بورك وهي تحرّك رأسها نفياً: رسالة من عمّتي؟! لا، وفيمَ تكتب لي؟!

فقال لها بوارو: ربما كان هنالك ما يستدعي ذلك.

- لم تكن عمّتي تحبّ الكتابة، وقد كانت تناهز السبعين من عمرها ولم تتلقَّ من التعليم إلا قليلاً.

- ولكنها كانت تستطيع القراءة والكتابة.

- بكل تأكيد، ولكن الكلام أيسر سبيلاً من الكتابة. لقد كانت تتصل بي هاتفياً عن طريق السيد بنسون الكيميائي إذا أرادت أن تبلّغني رسالة ما.

- ولكني أعتقد أن عمّتك كانت تكتب إليك أحياناً؟

- ليس أكثر من بطاقات الأعياد.

- أليس لها أصدقاء يمكن أن تراسلهم؟

- لا عِلم بي بهذا.

- إذا كانت قد حرّرت رسالة ما فلا بدّ وأن تكون تلك

الرسالة ردّاً على رسالة تلقّتها. ألم تعثروا على رسائل بين مقتنياتها؟

- لست أستطيع الإجابة على هذا السؤال لأن الشرطة كانت تتولى كلّ شيء في أول الأمر وأخيراً أذنوا لي بجمع مقتنياتها.

- وماذا فعلتِ بها؟

- هذا الصندوق يضمّ مقتنياتها، ثم هناك صندوق ملابس في الطابق الأعلى وبعض أدوات المطبخ.

- أنا أقصد من سؤالي مقتنياتها الشخصية، كفرشاة أو مشط أو صور فوتوغرافية أو أدوات زينة أو ثياب.

- فهمتُ، هذه الأشياء رأيت أن أجمعها وأودِعها حقيبة موجودة بالطابق الأعلى، ولم أكن أدري ماذا أفعل بها.

- هل لي أن أُلقي نظرة على محتويات تلك الحقيبة؟

- بكل سرور، وإن كنت لا أعتقد أنك ستجد فيها ما تبغي، لقد فعلت الشرطة ذلك من قَبْلك.

وتقدّمته السيدة بورك إلى غرفة نوم خلفية صغيرة ودلّته على الحقيبة ثم استأذنت في الانصراف لأداء بعض الأعمال المنزلية، وسمع بوارو وقْع أقدامها وهي تهبط الدرَج عائدة أدراجها إلى الطابق الأرضي فقام بفتح الحقيبة وراح ينقّب فيها لعلّه يعثر على ما ينير له طريق البحث والتحرّي، ولكنه لم يجِد سوى الملابس والمقتنيات الشخصية لاستعمال امرأة عجوز، كما عثر على صورة فوتوغرافية للسيدة ماغنتي وزوجها في يوم

زواجهما، ولم يجد حقيبة يدها أو قفّازها فرجّح أن تكون بيسي بورك قد تصرّفَت فيهما، ووجد بين ما وجد زوجاً من الأحذية مغلّفاً في صحيفة يومية، وحينما شرع في أن يعيده إلى مكانه في الحقيبة لفت نظره عنوان كبير بالصحيفة. كان اسم الصحيفة صن داي كوميت وتاريخها ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر)، وكان تاريخ مقتل السيدة ماغنتي هو ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر).

لقد اطّلعَت السيدة ماغنتي على الصحيفة بتاريخ ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وكان ذلك اليوم يوم أحد، وفي يوم الإثنين توجّهت السيدة ماغنتي إلى مكتب البريد لشراء زجاجة حبر، هل يمكن أن يكون هذا نتيجة لما قرأته في صحيفة الأحد؟

ووجد زوجاً آخر من الأحذية مغلّفاً في صحيفة نيوز إف ذي وورلد الصادرة في نفس اليوم، وهاتان هما الصحيفتان اللتان سمع بأن السيدة ماغنتي كانت تقرؤهما، فحمل الصحيفتين إلى أحد المقاعد ليطّلع على ما ورد بهما، وسرعان ما وقع اكتشاف جدير بالاهتمام، فقد تبيّن أن جزءاً من إحدى صفحات صن داي كوميت قد انتُزع من حيّزه المستطيل في الصفحة الوسطى وكانت مساحته أكبر من مساحة أيّ من القصاصات التي عثر عليها في الحقيبة. وتصفّح الصحيفتين غير أنه لم يجد بهما ما يلفت النظر فراح يغلّف بهما زوجَي الأحذية ويعيدهما إلى مكانهما من الحقيبة، ثم اتّجه إلى الطابق الأرضي حيث وجد السيدة بورك في المطبخ فبادرته بقولها: لا أعتقد أنك عثرتَ على شيء له أهميته.

- للأسف! ألا تذكرين أنك لاحظت وجود قصاصة ورق منزوعة من صحيفة يومية في حقيبة يد عمّتك؟

- لا، ربما يكون أحد رجال الشرطة قد عثر عليها وحملها معه.

لكن الشرطة لم تعثر على شيء من هذا القبيل لأن سبنس لم يدوّن هذا في مذكراته.

* * *

جلس بوارو ساكتاً وأمامه ملفّات الصحف اليومية. لقد وجد أن اهتمامه بدلالة زجاجة الحبر لم يكن عبثاً، وكانت الصفحة التي أمامه هي إحدى صفحات صن داي كوميت الصادرة بتاريخ ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وقد برز في صدرها العنوان التالي: «ضحايا المآسي القديمة من النساء. أين هنّ الآن؟»

وتحت هذا العنوان أربع صور فوتوغرافية قديمة باهتة وأسفل كل صورة اسم صاحبتها على النحو التالي:

إيفا كانْ، المرأة الأخرى في قضية كريج المعروفة
جانيس كورتلاند، الزوجة التي كان زوجها شيطاناً بقالب إنسان
ليلي جامبول الصغيرة، النتاج المؤسف لعصرنا
فيرا بليك، زوجة لم تساورها الشكوك في زوجها القاتل

ويلي ذلك هذا السؤال الجريء: «أين هنّ الآن؟»

استرخى بوارو ليتيح لذهنه المكدود فرصة استعادة كل ما يتصل بهؤلاء البطلات اللاتي أحيت هذه الصحيفة ذكراهن.

هو لم ينسَ اسم إيفا كانْ لأن قضية كريج كانت من القضايا المعروفة التي أحدثت دويّاً، فقد كان ألفريد كريج موظفاً ببلدية بارمنستر وكان رجلاً مستقيماً حلو الشمائل، وشاء له حظه العاثر أن يتزوّج امرأة مستهترة أرغمته على الاستدانة لإرضاء نزواتها، فنغّصت عليه حياته وأرهقت أعصابه إلى أن تدهورت صحّته العقلية، وكانت إيفا كانْ هي المربّية القائمة على رعاية طفلَيه في المنزل وكانت في التاسعة عشرة من عمرها جميلة هادئة، وحدث أن تحابّا وهام كل منهما بالآخر، ثم سمع الجيران من كريج أن زوجته قد سافرت إلى الخارج لأسباب صحّية، وقال كريج فيما قال إنه اصطحبها إلى لندن في سيّارته ذات مساء حيث ودّعها عند رحيلها إلى جنوب فرنسا ثم عاد أدراجه إلى بارمنستر، وكان يتحدّث عن صحّة زوجته من حين لآخر فيقول إنها لم تكن على ما يرام بناءً علىِ ما يرِدُ في رسائلها. وتخلّفت إيفا كانْ لتقوم على رعاية طفلَيه، وسرعان ما بدأت الألسنة تلوك سُمعتهما، وأخيراً تلقّى كريج نبأ وفاة زوجته بالخارج فسافر ليعود بعد أسبوع بقصّة عن جنازة زوجته ودفنها.

ولم يكن كريج بالرجل الحريص أو المجرم المحترف؛ فقد أخطأ فيما تحدّث به عن الناحية التي تُوفّيَت فيها زوجته بالريفيرا في فرنسا، وكان من اليسير أن يتطوّع أحد ممن له قريب أو صديق في جنوب فرنسا بالكتابة إليه في الموضوع ليتلقّى الردّ بأن شيئاً من ذلك لم يحدث على الإطلاق، ثم تسري الإشاعات إلى أن تصل إلى الشرطة. ويمكن تلخيص ما حدث فعلاً بأن السيدة كريج لم ترحل إلى الريفيرا وبأن

جثتّها مُزّقَت إرَباً ودُفنَت في قبْو المنزل، وقد أسفر تشريح بقايا الجثة عن أن السيدة كريج قد ماتت بالسمّ.

وأُلقي القبض على كريج وقُدّم للمحاكمة، واعتُبرت إيفا كانْ شريكة في الجريمة في بداية الأمر ثم أُسقطَت عنها التهمة بعد أن اتضحت براءتها فعلاً بجهلها لكل ما حدث. وانتهى الأمر بكريج إلى الاعتراف وحُكِم عليه بالإعدام شنقاً.

أمّا إيفا كانْ التي كانت تنتظر مولوداً فقد غادرت بارمنستر، وعلى حدّ ما ورد بالصحيفة قد تعطّف عليها بعض الأقارب في العالم الجديد بأن قدّموا إليها منزلاً تقيم به، وقد غيّرت الفتاة التعيسة (التي غرّر بها قاتل أثيم) اسمها ورحلت عن تلك البلاد إلى الأبد لتبدأ حياة جديدة حيث تطوي قلبها على مأساتها وتخفي عن ابنتها الصغيرة سِرّ أبيها واسمه. تُرى أين هي؟

ثم انتقل بوارو إلى ما كتب عن الضحيّة الثانية جانيس كورتلاند، الزوجة المفجوعة التي عانت من زوجها الغريب الأطوار طوال ثمانية أعوام، فاتّخذت لها صديقاً مثالياً هاله ما رآه بين الزوج وزوجته مصادفة فهاجم الزوج بقضيب من الحديد وقتله. وقد وجد المحلّفون أن المشهد المهين بين الزوجين قد استفزّ الشابّ المثالي الذي لم يكن يضمر قتل الزوج، فحُكِم عليه بالسجن خمس سنوات فقط. وقد فزعَت جانيس من كل تلك الأحداث وما أسفرت عنه من فضيحة آذت مشاعرها، فرأت أن ترحل إلى الخارج لتنسى، فهل نسيَت ما حدث؟

ثم انتقل هيركيول بوارو إلى ليلي جامبول الصغيرة، تلك

الطفلة التي كانت ضحيّة لتكاثر النسل في عصرنا هذا. ويبدو أن ليلي جامبول قد أُقصيَت عن منزلها المزدحم لتتكفّل بها عمّة تُؤيها في دارها. وحدث أن ليلي أرادت أن تذهب إلى دار العرض فرفضت العمّة أن تأذن لها، فالتقطت ليلي ساطوراً ضربت به عمّتها فأرْدتها قتيلة. وكانت ليلي في الثانية عشرة من عمرها فأُرسِلَت إلى إحدى إصلاحيات الأحداث.

ومضت الصحيفة تقول:

لقد بلغت ليلي جامبول الآن مبلغ النساء وعادت إليها حرّيتها لتأخذ مكانها بين نساء المجتمع. وقيل إن سلوكها إبّان فترة سجنها كان مثالياً، ألا يدلّ هذا على أن النشء ليس هو الملوم وأن المسؤولية تقع على عاتق النظام وأن ليلي التي نشأت في جوّ من الجهل والقذارة هي ضحية البيئة؟

غير أن بوارو لم يكن من هذا الرأي، وكان يرثي لحال العمّة لا لحال الطفلة التي كانت في الثانية عشرة من عمرها حينما أقدمَت على ارتكاب جريمتها البشعة. ثم انتقل بوارو إلى فيرا بليك فقرأ:

كان واضحاً أن فيرا بليك امرأة عاثرة الحظ؛ فقد اتّصلت في مطلع حياتها بشابّ اتضح أنه مجرم تبحث عنه الشرطة لأنه قتل حارس أحد المصارف، ثم تزوّجت فيرا بتاجر محترم اتضح فيما بعد أنه يتعامل في السلع المسروقة، ثم كان أن انحرف طفلاها عن سواء السبيل وانتهزا فرصة اصطحاب الأمّ لهما إلى أحد المتاجر وقاما بسرقة بعض السلع في غفلة منها.

وبعدها ظَهر رجل طيّب القلب على مسرح حياتها وهيّأ لها منزلاً في إحدى المستعمرات البريطانية فبدأت الأم وأطفالها حياة جديدة، وأخيراً وبعد سنوات طويلة من ضربات القدر المتوالية انتهت متاعب فيرا.

واضطجع بوارو في مقعده وراح يفحص الصوَر الأربع غير أنه لم يوفق في استجلاء ملامحها وخطوطها الأساسية.

لقد عمدَت السيدة ماغنتي إلى انتزاع تلك الصوَر من مكانها، فلماذا؟ هل لمجرّد الاحتفاظ بها لأن قصصها مشوّقة؟ لكنه استبعد هذا الخاطر لأن السيدة ماغنتي ليست من هذا الطراز. لقد انتزعت تلك القصاصة في يوم الأحد ثم ابتاعت زجاجة من الحبر في يوم الإثنين، وهي لم تلجأ إلى جو بورك -زوج ابنة أخيها- ليعاونها في تحرير رسالة ما كما اعتادت أن تفعل، فلماذا؟!

وعاد بوارو يلقي نظرة فاحصة على الصوَر الفوتوغرافية وما كُتب تحتها. الصحيفة تتساءل عن مصيرهن بعد كل ذلك، ألا يُحتمَل أن تكون إحداهن قد جاءت إلى برودهيني في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي؟

* * *

لم يتمكن بوارو من الالتقاء بالآنسة باميلا هورسفول قبل اليوم التالي إذ لم يكن لديها متّسع من الوقت؛ فقد كان عليها أن تسرع بالتوجّه إلى شيفيلد لعمل مهمّ.

وكانت الآنسة هورسفول طويلة القامة أقرب إلى الرجال منها إلى النساء، تدمن الشراب والتدخين ويستبعد المرء من

مجرّد النظر إليها أنها هي التي دبّجت المقال الوارد بصحيفة صن داي كوميت. وقد ابتدرت بوارو قائلة في صبر نافد: هاتِ ما عندك، لديّ موعد مهمّ.

- جئت بشأن مقالك المنشور بصحيفة صن داي كوميت في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي عن ضحايا المآسي من النساء وتساؤلك عن مصيرهنّ؟ من المفروض بعد نشر مثل ذلك المقال أن تتلقّي العديد من الرسائل؟

- بكل تأكيد، فمن الناس من يهوى تحرير الرسائل، وكلّها رسائل بعيدة عن صُلب الموضوع.

- هل تلقّيتِ في أعقاب نشر ذلك المقال رسالة من سيدة تُدْعى السيدة ماغنتي من برودهيني؟

- وأنّى لي أن أعرف؟! وكيف يعلَق بذهني اسم من بين مئات الأسماء الواردة بتلك الرسائل؟!

- لقد خُيّل إليّ أنك ربما تذكرين هذا الاسم لأن صاحبته قُتلَت بعد نشر المقال بأيام قليلة.

ونسيَت الآنسة هورسفول موعدها واتخذت لها مقعداً أمامه قائلة: ماغنتي، ماغنتي... نعم، أنا أذكر هذا الاسم، فهي المرأة التي قتلها الساكن في منزلها ولم تكن الجريمة من الجرائم المثيرة من وجهة نظر الجمهور. أتزعم أن المجني عليها كانت قد كتبَت إليّ؟

- كتبت إلى صحيفة صن داي كوميت فيما أظن.

- الأمر سيّان؛ إن كانت قد فعلت هذا لكان مصير

الرسالة إليّ و...

ثم توقّفَت عن مواصلة الكلام لحظة قالت بعدها: مهلاً، لم تكن الرسالة من برودهيني وإنما كانت من برودواي.

- إذن فأنت تذكرينها؟!

- ولكنني لست واثقة بعد. الاسم ماغنتي، أليس كذلك؟

- بلى، هو كذلك.

- والخط رديء والأسلوب عاميّ، ولكني واثقة أنها كانت من برودواي.

- لقد قلتِ إن الخط رديء، فمن الممكن أن تتشابه برودهيني وبرودواي حين تكتبها يد امرأة متقدّمة في السنّ غير متعلّمة.

- هذا محتمَل. أنا الآن واثقة من الاسم هو السيدة ماغنتي.

- ألا تذكرين شيئاً مما ورد برسالتها؟

- لقد تحدّثَت عن صورة فوتوغرافية وقالت إنها تعرف صاحبتها، واستفسرت عمّا تقتضيه منّا في مقابل ما لديها من معلومات.

- وهل تلقَّت ردّاً منكم؟

- نحن لا نستهدف من النشر مثل هذه الأمور، وقد كان الردّ قاصراً على توجيه الشكر إليها مع تجاهل عرضها. وما

دام الردّ قد أُرسل إلى برودواي فليس من شك في أنه ضلّ طريقه إليها.

فتبادر إلى ذهن بوارو صدى ما سمعه من مورين سمرهايز عن فضول السيدة ماغنتي. لقد كانت السيدة ماغنتي أمينة ولكنها كانت محبّة للاستطلاع، وكثير من الناس مولَعون بالاحتفاظ ببعض ذكريات الماضي مما لا حاجة لهم به، فهُم يحتفظون بها إرضاءً لمشاعرهم وإن نَسُوا على مرّ الزمن وجودها لديهم.

لقد عثرَت السيدة ماغنتي على إحدى صور تلك الذكريات ثم تعرّفت على صاحبتها بعد إعادة نشرها في صحيفة صن داي كوميت، فبعثت تلك المصادفة الأمل في نفسها بإمكان استغلالها مادّياً.

ونهض بوارو قائلاً: شكراً يا آنسة هورسفول، ومعذرة إذا ما استفسرتُ منك عن مدى دقّة ما ورد بمقالك عن تلك القضايا، لقد خُيّل إليّ أنّ ثمة اختلافاً بين بعض الأسماء والتواريخ، أليس كذلك؟

- هو اختلاف طفيف لا يقدِّم ولا يؤخِّر، ولكن العِبرة بوقائع القضايا وصحّة أحداثها. وعلى الرغم من لهجة المقال فأنا في قرارة نفسي أُعفي أولئك النساء من اللوم.

- ألا يُحتمَل عودتهن أو عودة إحداهن إلى الوطن؟

- لا أستبعد ذلك ولكن لم يكن بِوُسعي تقصّي الأمر.

* * *

الفصل التاسع

كان الدكتور ريناديل يناهز الأربعين من عمره، وقد استقبل زائره بترحاب ملحوظ قائلاً: لقد شرّفتَ قريتنا الصغيرة، فإن وجود هيركيول بوارو فيها مفخرة لها.

سعد بوارو بذلك الإطراء وقال: إذن فقد سمعتَ باسمي من قبل.

- بكل تأكيد، ومن ذا الذي لم يسمع به؟!

ثم نظر في ساعته وقال: سأمضي بعد ربع ساعة لإجراء جراحة، والآن بِمَ تأمر؟ أنا أتحرّق شوقاً لمعرفة سبب قُدومك إلى هذه القرية، هل جئت للاستجمام؟

- بل جئت لعمل، بشأن السيدة ماغنتي.

- فهمت، ألا ترى أنك بدأت اهتمامك بالقضية متأخّراً؟

- أنا موكل من الدفاع للتوصّل إلى دليل جديد يصلح أساساً لاستئناف الحكم.

- وماذا عساه أن يكون هذا الدليل؟

– هذا ما لست في حِلّ من الإفضاء به، غير أنني قد وُفّقت إلى بعض الأمور التي تشجّع على مواصلة التحرّي، وقد جئت لزيارتك لأنني علمت أن السيدة ماغنتي كانت تعمل لديكم.

– أجل، أجل. كانت تحضر مرّة في الأسبوع لتقوم ببعض أعمال النظافة.

– هل كانت موضع ثقتك؟

– لم يَبدُ منها ما يخلّ بهذه الثقة.

– أتَراها كانت صادقة في كل ما تقول؟

– هذا ما لا يمكن أن أجزم به؛ فأنا لا أعرف عنها سوى القليل.

– هل كنت تعرف جيمس بنتلي؟

– لقد زارني كمريض مرّة أو مرّتين وكان قلقاً من أجل صحّته، لقد كان طفلاً مدلّلاً وهذه هي النتيجة. ولدينا حالة أخرى من هذا القبيل وهي السيدة لورا أبوارد، فهي تسرف في تدليل ولدها ولا تطيق أن يفترق عنها.

– وهل طالت إقامتها هنا؟

– ثلاث أو أربع سنوات، لا أحد يبقي في برودهيني طويلاً؛ فالقرية الأصلية لم تكن أكواخها لتتجاوز أصابع اليد عدّاً وكلّها قائمة حول لونغ ميدوز. أنت مقيم هناك كما سمعت، أليس كذلك؟

– بلى، كنزيل لدى السيدة سمرهايز.

- وماذا تعرف تلك المرأة عن إدارة شؤون المنازل؟! لا شيء على الإطلاق؛ فقد قضت كل حياتها تقريباً في الهند وحولها من الخدم ما يفيض عن حاجتها. أعتقد أنك لا تجد راحتك هناك، ومع ذلك فأنا أُحبّ آل سمرهايز. لقد ورث الميجور سمرهايز البيت عن والده الكولونيل سمرهايز، وكانت تَرِكة مثقَلة بالديون وقد أصرّوا على الاحتفاظ بالبيت.

ثم ألقى بوارو نظرة على ساعته واستأذن في الانصراف غير أن الطبيب ريانديل استبقاه قائلاً: ما زال أمامي بضع دقائق، فضلاً عن أني أريد أن أقدّمك إلى زوجتي التي سوف تُسَرّ بلقائك. نحن نتابع نشاطك باهتمام، كما أننا نهوى قراءة كل شيء عن الجرائم.

- وهل تقرأ صحيفة صن داي كوميت؟

- وهل هناك مَن لا يقرأها؟!

- لقد نُشر بها منذ أكثر من خمسة أشهر مقال مشوّق عن نساء شاء لهن حظّهن العاثر أن تقترنَ أسماؤهنّ ببعض القضايا المشهورة.

- أجل، أذكر ذلك المقال جيّداً وما تضمّنه من مغالاة صحفية. أنا لا أزعم العِلْم بكل ما يتصل بتلك القضايا من وقائع ولكنني في حِلّ من الحديث عن قضية كورتلاند، وأُؤكد أن تلك المرأة ليست بالبراءة التي وصفتها بها الصحيفة، وقد عرفتُ هذا من عمّ لي أشرف على علاج الزوج. ولم يكن أحد الزوجين أفضل؛ فقد دفعَت فتاها إلى قتل زوجها وحُكِم عليه بالسجن فانطلقت الأرملة الثرية لتتزوّج بمن تشاء. هي لم تكن

الزوجة الضحيّة بأية حال.

– لقد تساءلتُ بعد قراءة المقال عمّا صار إليه أمر هؤلاء النساء.

– ليس من شك في أنهن يحرصن على إسدال ستار من النسيان على ماضيهن المظلم. ومن يدري؟ فلعلك التقيت بإحداهن في مناسبة ما دون أن تعلم! فمن المتعذّر التعرّف على أيّ منهنّ من صورتها الفوتوغرافية لعدم وضوحها.

ونهض بوارو مستأذناً في الانصراف فاستبقاه الطبيب رينديل ثانية ليلتقي بزوجته، وتقدّم الطبيب ضيفه إلى البهو منادياً: شيلا، شيلا. تعالَي بسرعة فلديّ مفاجأة لك.

وجاءت الزوجة وكانت امرأة شقراء رشيقة، فقال الطبيب: ها هو السيد هيركيول بوارو بلحمه ودمه، فماذا تقولين في هذه المفاجأة؟

فحملقَت بعينيها الزرقاوين في بوارو وراحت تغرسها في وجهه في حين تقدّم منها بوارو يحيّيها بأسلوبه الفرنسي. وأخيراً قالت له: لقد سمعنا بوجودك هنا غير أننا لم نَرَك.

ثم أمسكت عن الكلام وألقت نظرة خاطفة إلى زوجها. وبعد أن تفوّه بوارو ببعض عبارات المجاملة استأذن في الانصراف.

* * *

كان «هنترز كلوز» بيتاً مشيداً على الطراز الفيكتوري المتين، رابضاً في موقعه عند نهاية ممشى تغطيه الأعشاب.

وسأل بوارو المرأة الأجنبية التي فتحت له الباب عن السيدة ويذربي، فأجابته وهي تحملق في وجهه قائلة: لست أدري! تفضّل بالدخول، ربما أجابتك الآنسة هندرسون.

وتركته واقفاً بالبهو المزدحم بالأثاث ثم عادت إليه بعد قليل وطلبت منه أن يتبعها إلى غرفة صغيرة بها مكتب كبير، وفُتح باب الغرفة وأقبلت منه فتاة قائلة: والدتي في فراشها، هل تأمر بشيء؟

- هل أنت الآنسة ويذربي؟

- بل الآنسة هندرسون، والسيد ويذربي هو زوج أمّي.

وكانت الفتاة تناهز الثلاثين من عمرها ولها عينان متألقتان. قال بوارو: لقد جئتُ لأستمع إلى ما تحدّثونني به عن السيدة ماغنتي التي كانت تعمل هنا.

- السيدة ماغنتي؟! ولكنها ماتت!

- أعلم هذا، ومع ذلك فبودّي أن أسمع عنها بعض ما تعرفون.

- هل أنت موفَد من قِبَل شركة التأمين؟

- لا، أنا قادم من أجل بعض الأدلّة الجديدة.

- أدلّة جديدة؟! أتعني بعد وفاتها؟!

- لقد عَهد إليّ الدفاع عن جيمس بنتلي بتقصّي الحقائق لمصلحته.

- أليس هو القاتل؟

- هذا ما رآه المحلّفون، ولكنّ المحلفين ليسوا منزَّهين عن الخطأ.

- إذن فثمة قاتل آخر؟!

- يُحتمَل.

- ومن عساه أن يكون؟

- هذا هو السؤال الذي أحاول الاهتداء إلى إجابته. هل يمكن أن تحدّثيني عن السيدة ماغنتي قليلاً؟

- وماذا تريد أن تعرف؟

- فلنبدأ برأيك فيها.

- إنها مجرّد امرأة عاديّة.

- هل كانت ثرثارة؟ فضولية؟ هل يعيبها شيء؟

فأطرقت الآنسة هندرسون قليلاً قبل أن تجيب: لقد كانت تتقن عملها ولكنها كانت ثرثارة فعلاً، وفي الحقيقة أنا لم أكن أميل إليها كثيراً.

وفُتح الباب وأقبلَت المرأة الأجنبية قائلة: سيدتي ديردر، لقد قالت والدتك إنها ترغب في استقبال السيد...

ونظرت ديردر هندرسون إلى بوارو قبل أن تقول له: هل لك أن تصحبني إلى والدتي؟

- بكل تأكيد.

وتقدّمَت عبر البهو وارتقت الدرَج إلى غرفة والدتها، وكانت غرفة تنبئ محتوياتها بأنها غرفة امرأة كثيرة الأسفار قد

حملت معها من كل بلد تَذكاراً.

وكانت السيدة ويذربي امرأة متوسطة الطول نحيفة متخاذلة تضطجع باسترخاء فوق أريكة، وقد وضعت إلى جانبها منضدة عليها بعض الكتب وكوب من عصير البرتقال. وقد ابتدرته بقولها: معذرة لاستقبالك هكذا؛ فالطبيب يأمر بما ترى، وأخشى إن عصيته أن يرمي عليّ باللوم.

حنى بوارو قامته في أدب الفرنسيين، وسمع ديردر التي كانت تقف خلفه تقول: إنه يجمع بعض المعلومات عن السيدة ماغنتي.

شعر بوجه السيدة ينقبض قليلاً، ثم سمعها تعقّب بقولها: ومَن عساها أن تكون السيدة ماغنتي؟

فقالت لها ابنتها: أمّاه، أنت تذكرينها، لقد كانت تعمل لدينا، تلك المرأة التي قُتلت!

فأغمضت السيدة ويذربي عينيها وقالت وهي ترتجف: يا له من حادث مفزع! لقد أثار أعصابي لمدّة أسابيع! يا للمرأة المسكينة! لقد أخطأت باحتفاظها بنقودها في منزلها، كان يجب أن تودِع ما لديها من نقود في المصرف. بديهيّ أن أذكر كل ذلك، لكني كنت قد نسيت اسمها.

فقالت ديردر: إنه يريد أن يجمع بعض المعلومات عنها.

- تفضّل بالجلوس يا سيد بوارو. لقد اتصلَت بي السيدة ريندیل هاتفياً لتخبرني بزيارتك لهم وكانت جدّ مسرورة باستقبال رجل له شهرته المدوّية في عالم الجريمة. هلاّ حدّثتني بما تسعى إليه؟

- أنا أجمع بعض المعلومات عن السيدة ماغنتي. لقد كانت تعمل هنا في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وقد حدث أنها قُتلت يوم الأربعاء مما يعني أنها كانت هنا في ذلك اليوم.

- هذا هو المفروض، وإن كنت لا أستطيع الجزم بذلك لبُعد الأمد.

- أجل، لقد مرّت عدّة أشهر. ألا يمكن أن تذكري شيئاً عمّا تحدّثَت به في ذلك اليوم؟ شيئاً غير عاديّ؟

- إن مثل هذه الطبقة تكثر من الكلام وقلّما يستمع المرء إليها، ومهما يكن من أمر فهي لم تتحدث بشيء عمّا كان القدر يخبّئه لها.

- هل تقرئين صحف الأحد يا سيدة ويذربي؟

- نعم، نحن نقرأ الأبزرفر و الصنداي تايمز. لماذا؟

- لقد كانت السيدة ماغنتي تقرأ صحيفة الصنداي كوميت و نيوز أُف ذي وورلد.

وسكت بوارو عن الكلام وران الصمت على الجميع إلى أن قالت السيدة ويذربي: لقد كان الحادث مروّعاً بشعاً! وذلك الساكن لا بدّ وأن يكون قد أُصيب بلوثة؛ فمظهره لم يكن يدلّ على أنه قادر على ما جنته يداه. هي جريمة وحشية بما في ذلك السلاح المستعمل فيها!

- الشرطة لم توفّق في العثور على أداة الجريمة.

- ربما يكون القاتل قد ألقى به في أحد المستنقعات.

وبدا على السيدة ويذربي أنها شعرت بالإجهاد فقالت

ابنتها: سيد بوارو، أرجو ألاّ تثقل عليها بالأسئلة؛ فمشاعرها جدّ رقيقة وهي ليست على ما يرام كما ترى.

فقال بوارو وهو ينهض عن مقعده: معذرة، غير أنه يشفع لي أن هناك رجلاً سينفَّذ فيه حُكم الإعدام شنقاً بعد ثلاثة أسابيع، فإذا ما كان ذلك الرجل بريئاً...

فقاطعته السيدة ويذربي قائلة بصوت متهدّج: ولكنه الفاعل بكل تأكيد، هو الفاعل حتماً!

- هذا ما نشك فيه.

وأسرع بمغادرة الغرفة. وبينما كان يهبط الدرَج إذ بالفتاة تلحق به وتتبعه إلى البهو متسائلة: ماذا كنت تعني؟

- كنت أعني ما قلته يا آنستي.

- لقد تسبّبتَ في إزعاج والدتي، فهي تكره كل ما يتصل بأعمال العنف.

- لا بدّ وأن مقتل تلك المرأة كان مفاجأة سيّئة لها.

- أجل، وكان صدمة. لذلك نحرص على تجنيبها كل انفعال أو ردّ فعل لأيّ عمل من أعمال القسوة والوحشية.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب الأمامي وأقبل منه رجل طويل القامة نحيل كهل، وما إن وقع نظره على بوارو حتى توقّف عن مواصلة السير ورمق ديردر بعينين متسائلتين فقالت الفتاة: هذا هو زوج والدتي، أنا لا أعرف اسمك!

- أنا هيركيول بوارو.

ولم يَبدُ على السيد ويذربي أن إعلان الاسم قد أثار اهتمامه فاستدار ليخلع معطفه، وأردفت ديردر قائلة: لقد جاء بشأن السيدة ماغنتي.

وبعد أن فرغ السيد ويذربي من إحكام وضع معطفه على المشجب استدار قائلاً: إن علاقتنا بتلك المرأة لا تتجاوز أنها كانت تعمل هنا يوماً في الأسبوع، وقد وقع الحادث منذ بضعة أشهر وليس لدينا أية معلومات عنها أو عن أسرتها، وقد أدلينا بما لدينا من أقوال لرجال الشرطة.

ثم ألقى نظرة على ساعته وقال: من المفروض أن الغداء سيكون مُعَدّاً بعد ربع الساعة.

فقالت له ديردر: أعتقد أنه سيؤجَّل قليلاً.

وقطب السيد ويذربي جبينه قائلاً: ولماذا؟! أريد أن أعرف السبب؟!

- لأن فريدا كانت مشغولة.

- ديردر، يسوؤني أن أذكّرك بواجبك، فإدارة البيت منوطة بك ويجب أن تسير الأمور في هذا البيت بكل دقة.

وفتح بوارو الباب الخارجي وانصرف بهدوء، وبعد بضع خطوات ألقى بنظرة صوب الباب الذي غادره لتوّه. لقد كانت نظرات السيد ويذربي إلى ابنة زوجته تنطوي على الكراهية، كذلك كانت نظرات الفتاة إلى زوج أمّها.

* * *

الفصل العاشر

أرجأ بوارو زيارته الثالثة إلى ما بعد الغداء وكان يمنّي نفسه بأن سيحظى بغداء شهيّ كما وعدته مورين. وسار على مَهل في طريقه إلى حيث تقيم السيدة أبوارد وولدها الشاب روبين أبوارد الذي يرجى له مستقبل ككاتب مسرحيّ، وتوقّف لحظة ليصلح من هندامه، وبينما كان في موقفه أمام الباب إذا بسيارة تُقبل وإذا ببقايا تفّاحة ترتطم بصدغه بقوّة، فصاح بوارو محتجّاً فتوقّفت السيارة وأطلّ من نافذتها رأس يقول: معذرة، هل آذيتك؟

ووقف بوارو يتأمّل الوجه الذي أمامه بكل ما فيه من سمات النبل وقد توّجه ذلك الشعر الذي تخلّله الشيب، فنشطت في ذهنه الذكريات قبل أن يهتف قائلاً: يا إلهي! السيدة أوليفر!

والواقع أنها فعلاً كانت كاتبة القصّة البوليسية المعروفة، وهتفَت هي الأخرى باسمه وهي تحاول مغادرة السيارة، وأسرع بوارو يعاونها لأن الكاتبة كانت ضخمة الجسم، فقالت موضِّحة: لقد كانت رحلة طويلة. كيف حالك؟ هل تقيم هنا؟ ماذا أتى بك إلى هذه النواحي؟ أهي جريمة قتل؟ أرجو ألاّ تكون المجني عليها هي مُضيفتي؟

- ومن عساها أن تكون مُضيفتك؟

- ربّة هذا البيت فيما أرجِّح.

- ألا تعرفينها؟

- أنا قادمة في مهمّة مِهَنِيّة. لقد حوّل روبين أبوارد إحدى قصصي إلى مسرحية وقد قَدِمتُ لمراجعتها معه.

- لكِ خالص تهانيّ يا سيدتي.

- ليس الأمر كما يُخيّل إليك. أنت تعرف أن مؤلّفاتي تدرّ عليّ الكثير غير أني لا أحبّ أن تنطق شخصيات قصصي بغير ما أردتُ أن ينطقوا به بدعوى أن أعمال المسرح تقتضي ذلك، وأنا أخشى أن يلجأ روبين أبوارد إلى هذا الأسلوب. هم يقولون عنه إنه يحذق عمله، ولست أدري لماذا لا يكتب مسرحية من تأليفه ويدَع أبطال قصصي وشأنهم! والآن فلتحدّثني بأمر تلك القضية التي جاءت بك إلى هنا.

- هي قضية خادم متجوِّلة سُرِقَت وقُتلت منذ خمسة أشهر، وربما تكونين قد قرأتِ عن هذا الحادث في الصحف. كانت تُدْعَى السيدة ماغنتي، واتُّهِم بقتلها شابّ حُكِم عليه بالإعدام شنقاً، و...

فقاطعته السيدة أوليفر قائلة: وهذا الشاب بريء وأنت تعرف مَن المتهم الحقيقي وسوف تقوم بالتدليل على ذلك، رائع!

- أنت تسبقين الأحداث؛ فأنا لم أعرف بعدُ مَن عساه أن يكون الفاعل الحقيقي، ومِن ثَم فما زال أمامي الكثير.

- ما أشدّ بُطأكم يا معشر الرجال! أنا سرعان ما أدلُّك على الفاعل الحقيقي، أمهلني يوماً أو اثنين لأبصر ما حولي فأضع يدي على القاتل. أنت بحاجة إلى إلهام المرأة، ألم يسبق لك أن لمست هذا معي؟

وحينئذٍ هتف صوت بباب البيت: أهي السيدة أوليفر؟

- نعم، لقد وصلتُ أخيراً. بوارو، لا تقلق فلن أبوح بشيء.

- لا يا سيدتي، لست أريد هذا، بل أريد العكس.

وأقبل روبين أبوارد عبر الممشى إلى الباب الخارجي قائلاً: السيدة أوليفر العزيزة!

ثم صافحها بحرارة وخلّى ما بينه وبينها مستطرداً: لقد واتتني فكرة صائبة عن الفصل الثاني.

- أهكذا؟ أقدّم إليك السيد هيركيول بوارو.

- رائع! هل أتيتِ معك بحقائب؟

- نعم، في مؤخّرة السيارة.

فأسرع روبين يُخرِج الحقيبتين قائلاً: يا لمضايقات الخدم! لم يعُدْ لدينا منهم سوى جانيت العجوز.

وتقدّمها عبر الممشى قائلاً: هيا بنا لشرب الشاي.

فقالت السيدة أوليفر وهي تلتقط حقيبة يدها وكتاباً وحذاءً قديماً من فوق المقعد الأمامي: هو يَعنيك بهذه الدعوة أيضاً يا سيد بوارو، أحقّاً ما كنت تقوله من أنك لا تريد منّي

أن أكون حَذِرة متحفّظة؟

- نعم، ومن الخير أن تمضي في الصراحة إلى أقصاها.

- مهما يكن من أمر فهي قضيّتك ولك أن تنتهج فيها الأسلوب الذي تريده، وستجدني متعاونة معك إلى أقصى حدّ كما عهدتَني دائماً.

وعاد روبين أدراجه ليقف بباب البيت الأمامي منادياً: هيّا أقبِلا، دعي السيارة الآن فأُمّي تتشوّق إلى لقائك.

وسارت السيدة أوليفر عبر الطريق المؤدّي إلى البيت يتبعها بوارو، ودلفا إلى البيت الذي يبعث في النفس البهجة بمجرّد أن تطأه أقدام الزائر. وفي المقعد المتحرّك بجوار المدفأة بغرفة الجلوس استقبلتهما لورا أبوارد مرحِّبة مبتسمة، ورأى فيها بوارو امرأة قوية الشكيمة تناهز الستين من عمرها، وبادرتهما قائلة: يسرّني أن أستقبلك في بيتي يا سيدة أوليفر، وأحسب أنك لا تحبّين أن يتحدّث إليك أحد عن مؤلّفاتك وإن كنت قد رأيت فيها خير تسلية لي طوال هذه السنين من العجز والمرض.

- شكراً على هذه المجاملة يا سيدتي. أقدّم إليك السيد بوارو، صديق قديم لي، لقد كان لقاؤنا مجرّد مصادفة أمام منزلكم.

- كيف حالك يا سيد بوارو؟ روبين.

- لبّيكِ يا أمّاه.

- أسرع ببعض العصير.

ثم سألت: سيد بوارو، هل أنت أيضاً من كتّاب القصة؟

فقالت السيدة أوليفر: لا، بل هو من رجال الشرطة السرّيين من طراز شيرلوك هولمز، وقد جاء لتقصّي الحقائق بشأن جريمة قتل.

وسُمع صوت كأس يتحطّم فقالت السيدة أبوارد بحدّة: روبين، خذ حذرك! ثم قالت تُحدّث بوارو: سيد بوارو، هذا نبأ مشوّق.

وأردف روبين قائلاً: إذن فقد صدقَت مورين سمرهايز فيما قالته، لقد حدّثتني عن وجود شرطيّ سرّيّ بهذه النواحي، تُرى ما السبب؟

فقالت السيدة أوليفر: هو بشأن مقتل السيدة ماغنتي في الخريف الماضي.

- ولكن تلك القضية اختتمت فصولها.

فقالت السيدة أوليفر معترضة: القضية لم تنتهِ بعد؛ لقد اعتُقِل الرجل البريء وسوف يُعدَم شنقاً إذا لم يوفّق السيد بوارو في الاهتداء إلى القاتل الحقيقي في الوقت المناسب. يا لها من قضية مثيرة حقاً!

فقام روبين بتوزيع أقداح الشراب وسألهم ساخراً أن يشربوا نخب الجريمة ثم أردف قائلاً: لقد كانت تعمل لدينا.

فساءلت السيدة أوليفر: أتعني السيدة ماغنتي؟

- نعم، أليس كذلك يا أمّاه؟

- كانت تحضر يوماً من كلّ أسبوع.

فعادت السيدة أوليفر تسأل: كيف كانت تبدو؟

فقال روبين: امرأة محترمة تتقن عملها وتتفانى فيه.

وأكدت والدته كلامه ودار بين الأمّ وابنها حديث رقيق مَن يستمع إليه يدرك مدى ما بينهما من ودّ متبادل، فنهض بوارو قائلاً: آسف لأني مضطرّ إلى الانصراف، لديّ زيارة أخرى ثم قطار يجب أن ألحق به. أنا شاكر لك يا سيدتي كرم وِفادتك. سيد أبوارد، أرجو لك كل توفيق في مسرحيتك.

وأردفت السيدة أوليفر قائلة: وكل توفيق لك في تحرّياتك.

فتساءل روبين أبوارد قائلاً: هل الأمر بهذه الجدّية حقّاً يا سيد بوارو أم أنه مجرّد مزحة؟

فأجابت السيدة أوليفر: هو الجدّ كل الجدّ، وهو لم يصارحني باسم القاتل الحقيقي ولكنه يعرف من هو، أليس كذلك؟

فاحتجّ بوارو بما يكاد أن يكون اعترافاً: لا، لا يا سيدتي، لقد قلت لك أنا لم أعرفه بعد.

- هذا ما قلته، ولكني أعتقد أنك تعرف الحقيقة؛ فأنت كتوم جداً.

وانصرف بوارو، وكانت زيارته التالية لمنزل السيد والسيدة كاربنتر. وكان السيد كاربنتر شريكاً في مؤسسة هندسية، وهو رجل ثري عمل أخيراً بالسياسة، ولم تكن حياته الزوجية قديمة العهد بل كانت حديثة لم يَطُل عليها الأمد.

وفتح الباب خادم متعجرف أبى أن يفسح له الطريق؛ إذ ارتاب في أن يكون بوارو بائعاً متجوِّلاً. قال الخادم: السيد والسيدة كاربنتر بالخارج.

- إذن سأنتظرهما.

- لست أدري متى سيعودان إلى المنزل.

ثم أوصد الباب، ولم يعُدْ بوارو أدراجه بل سار حول البيت فاصطدم بامرأة في مقتبل العمر ترتدي معطفاً من الفراء الفاخر. وبادرته بالتحية ثم سألته عمّا يريد فرفع بوارو قبّعته احتراماً وهو يقول: كنت أرجو أن أسعد بلقاء السيد أو السيدة كاربنتر، فهل قد سعدت بلقاء السيدة كاربنتر؟

- نعم، أنا السيدة كاربنتر.

- وأنا أُدْعى هيركيول بوارو.

ولم يتبيّن صدى لسماعها اسمه سواء بالنسبة لما يحظى به من شهرة أو بالنسبة له كوافد جديد بالقرية يقيم في منزل مورين سمرهايز. وسمعها تقول له بهدوء: وماذا تريد؟

- لقد جئت لأحظى بهذا اللقاء، وقد شاء القدَر أن يتيسّر لي ذلك بعد أن صرفني الخادم. الذي جئت من أجله يُعَدّ من صميم اختصاصك لأنه خاصّ بعض الشؤون المنزلية.

- هيا بنا إلى الداخل.

وتقدّمته إلى بهو المنزل ومنه إلى غرفة تطلّ على حديقة بديعة التنسيق، وكانت الغرفة مؤثثة بأثاث عصريّ حديث. وتأمّل بوارو ربّة البيت بعين فاحصة حينما استدارت لتواجهه،

ووجد فيها امرأة في مقتبل العمر جميلة الشعر قد افتنّت في زينتها ولها عينان زرقاوان تشبهان مياه البحر زُرقة وعمقاً. ودَعته للجلوس وإن كان قد أحسّ من نبرات صوتها بضيقها به، فجلس شاكراً لها ما تفضّلت به عليه ثم استطرد قائلاً: الذي جئت للاستفسار عنه يتصل بالسيدة ماغنتي التي ماتت أو قُتلت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي.

- السيدة ماغنتي؟! لست أفهم شيئاً!

- ألا تذكرين شيئاً عن السيدة ماغنتي؟

وكانت ترمقه بنظرات حادّة تنمّ عن الشك والريبة ثم أجابته: أنا لا أعرف شيئاً عنها.

- ألا تذكرين شيئاً عن مقتلها؟ جرائم القتل ليست بالأحداث المألوفة في مثل هذه النواحي.

- أجل، المرأة القتيل. لقد نسيت اسمها!

- مع أنها كانت تعمل لديكم، أليس كذلك؟

- أنا لم أكن مقيمة هنا، لقد تزوّجتُ السيد كاربنتر منذ ثلاثة أشهر فقط.

- ولكنها كانت تعمل عندك صباح كل يوم جمعة وكنتِ أنت حينذاك زوجة للسيد سكيرك وتقيمين في منزل روز.

- ما دمتَ تعرف كل شيء فلست أرى ما يدعو لأسئلتك، ومع ذلك هلاّ صارحتني بما تريد؟

- أنا أقوم بجمع بعض المعلومات بشأن جريمة القتل.

- ولماذا؟! وفيمَ كل هذا العناء؟! ولماذا جئت إلينا؟!

- لأنك ربما تعرفين شيئاً قد ننتفع به.

- أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، فهي لم تكن أكثر من خادم عجوز بلهاء! كانت تحتفظ بنقودها في غرفة نومها فسطا عليها مَن سطا وقتلها من أجل نقودها. لقد كانت جريمة بَشِعة من طراز ما نقرؤه في صحف الأحد.

فانتهز بوارو تلك الفرصة قائلاً: مثل صحيفة صنداي كوميت؟ هل تقرئين هذه الصحيفة؟

فقفزت عن مقعدها واتجهت صوب الباب المفتوح المؤدّي إلى شُرْفة الحديقة وراحت تنادي: جاي، جاي.

وأجاب النداء صوت رجل من بعيد: ماذا يا إيف؟

- تعالَ إلى هنا فوراً.

وأقبل رجل في نحو الخامسة والثلاثين من عمره وأسرع الخطى إلى الشُّرفة وابتدرته إيف كاربنتر قائلة بحدّة: يوجد هنا رجل أجنبيّ وقد وجّه إليّ مجموعة من الأسئلة عن حادث قتل العام الماضي، مقتل تلك الخادم العجوز، هل تذكر؟ أنا أضيق ذرعاً بمثل تلك الأسئلة كما تعرف.

وقطّب جاي كاربنتر جبينه وخطا إلى الغرفة، وكان وجهه مستطيلاً أشبه بوجوه الجِياد شاحب اللون متعالياً في حركاته وسلوكه فشعر بوارو بالنفور منه، وتقدّم منه الزوج متسائلاً: فيمَ كل هذه الضجّة؟! هل كنت تثقل على زوجتي بأسئلتك؟

- سيدي، آخر ما يمكن أن يجول في خاطري هو أن أكون مصدر ضيق لمثل هذه السيدة الموقّرة، وكل ما كنت أرجوه هو أن تساعدني السيدة فيما أقوم به من تحرّيات؛ فالمرأة القتيل كانت تعمل عندها.

- وما محور هذه التحرّيات؟

فأردفت الزوجة قائلة: أتمنى أن أعرف منه ذلك.

- لقد استجدّ ما يدعو إلى تقصّي الحقائق عن ظروف وفاة السيدة ماغنتي.

- هُرَاء! لقد انتهت تلك القضية.

- لا، إنها لم تنتهِ بعد.

فقطب جاي كاربنتر جبينه قائلاً: أتقول إن هناك تحرّيات جديدة؟ بواسطة الشرطة؟! هُرَاء! أنت لست من الشرطة.

- صحيح، أنا أعمل مستقلاً عن الشرطة.

فقالت إيف كاربنتر: إنه يعمل لحساب إحدى صحف الأحد كما قال.

ومضت عينا جاي كاربنتر ببريق الحذر؛ فمَن كان في مثل وضعه لا يحسن به أن يخاصم الصحافة. وغيّر من لهجته وهو يقول: إن زوجتي مرهَفة الحِسّ ومثل هذه الجرائم يزعجها، ولم يكن بك حاجة لمضايقتها لأنها لا تكاد تعرف تلك المرأة.

فأردفت إيف تقول محتدّة: إنها لم تكن أكثر من خادم

عجوز بلهاء! كما أنها كانت كذّابة أشِرَة. لقد قلت له هذا!

فنظر بوارو إليهما وهو يقول: أتعنين أنها كانت تعمد إلى الكذب من حين لآخر؟ قد يكون ذلك مفيداً.

- كيف؟

- أنا أبحث عن الدافع.

- لقد كان الدافع إلى الجريمة السرقة بما لم يَدَع مجالاً للشك.

فقال بوارو بصوت خافت وهو ينهض عن مقعده: أهكذا؟! أنا أعتذر عما سببّته للسيدة من ضيق؛ فالجرائم والحديث عنها مما لا يسرّ أو تطيب له النفس.

وعقّب كاربنتر بقوله: نأسف لعجزنا عن معاونتك.

- بل لقد عاونتماني بالكثير.

- معذرة! لم أدرك ما تعني؟!

- لقد كانت السيدة ماغنتي تعمد إلى نشر الأكاذيب، تلك حقيقة لها قيمتها. وبالمناسبة، ما تلك الأكاذيب يا سيدتي؟

ووقف في انتظار ما تجيب به إيف كاربنتر وأخيراً قالت: لا شيء ذا أهمية خاصة، أعني... أنا لا أذكر شيئاً! لقد كانت تثرثر بأقاويل تافهة عن الناس وتردّد أشياء لا يمكن تصديقها!

* * *

الفصل الحادي عشر

جلس المفتش سبنس في مواجهة بوارو وقال بتمهّل: سيد بوارو، أنا لم أقُل إنك لم تتقدّم خطوة بل أعتقد شخصياً أنك وُفّقتَ بعض الشيء.

- لقد سمعت عن زجاجة الحبر بمحض الصدفة.

- ولكنها كانت بمثابة طرف الخيط الأوّل. كيف كان ذلك؟

- تحرير الرسائل بالنسبة لك ولي من الأمور العاديّة، أمّا بالنسبة لامرأة مثل السيدة ماغنتي فليس أمراً عاديّاً.

فأطرق سبنس لحظة ثم وضع على المنضدة أربع صور فوتوغرافية وقال: هذه هي الصور التي سألتني عنها، الصور الأصلية التي أخذت عنها الصنداي كوميت صوَرها المنشورة بها، وهي أكثر وضوحاً بكل تأكيد وإن كانت غير محدّدة السمات.

- هل تتّفق معي على استبعاد فيرا بليك؟

- نعم، فلو كانت فيرا موجودة في برودهيني لعكف عليها الجميع، خاصّة وأنها كانت مولعة بترديد قصّة حياتها.

- ماذا لديك من المعلومات عن الأخريات؟

- لقد حصلت لك على كل ما أستطيع من معلومات عنهن، فإيفا كانْ قد رحلت عن البلاد بعد تنفيذ الحُكم في كريج واتخذت لها اسم هوب.

- هل كان اسمها الحقيقيّ إيفيلين؟

- نعم، هذا ما أظنه، ولكنها كانت تنادى بإيفا. وبالمناسبة وما دُمنا بصدد الحديث عنها أحيطك علماً بأن رأي الشرطة في إيفا كانْ يخالف ما ورد بهذا المقال، فقد رأت الشرطة أنها لم تكن الضحيّة البريئة كما كانت تراها الجماهير. لقد كنت حينذاك في بداية حياتي العملية، وكان المفتش تربل يتولى تحقيق قضيتها، وكان تربل واثقاً من أن خطة التخلّص من السيدة كريج ترجع إلى إيفا كانْ وأنها هي التي قامت بوضعها موضع التنفيذ. وكان اعتراف كريج بأنه المسؤول أولاً وأخيراً عن ارتكاب جريمة قتل الزوجة -بعد انكشاف أمرها- تضحيةً جسيمة منه في سبيل عشيقته. وقد وضع كريج باعترافه حدّاً للتكييف القانوني للقضية، وهكذا أتقنت إيفا كانْ الجميلة البريئة تمثيل دورها.

- مهما يكن من أمر انتهت إليه القضية فعلاً فيمكن أن تكون شكوك المفتش تربل مصدر وحْيٍ عن النزعة الإجرامية لتلك المرأة.

- أما عن جيمس كورتلاند فقد قمت بمراجعة الملف وكان يتعيّن أن تقدَّم جانيس كورتلاند للمحاكمة كما قُدِّم عشيقها؛ فقد كانت هي وزوجها أسوأ مثال للحياة الزوجية

ولم يكن أيّ منهما أفضل من الآخر، وقد نصبَت شِبَاكها حول ذلك الفتى الغرّ إلى أن أوقعت به ودفعته إلى قَتل زوجها. ويجب ألاّ ننسى أنه كان ثمة رجل ثريّ في خلفية الصورة وكانت تريد هي الزواج به بعد التخلّص من زوجها.

- وهل تزوّجته؟

- لست أدري؛ فقد رحلَت إلى الخارج ولم نعرف عنها شيئاً بعد ذلك.

- وماذا عن الصبيّة ليلي جامبول؟

- كانت لم تبلغ بعدُ سِنّ المسؤولية الجنائية فتقرّر إلحاقها بإحدى الإصلاحيات، وكانت تقارير الإصلاحية عنها جيدة، وهناك تعلّمَت الاختزال والكتابة على الآلة الكاتبة وأُلحقَت بعمل تحت الاختبار، وآخِر أخبار عنها كانت من أيرلندا. وأرى أنه يمكن استبعادها هي الأخرى كما استبعدنا فيرا بليك، أليس كذلك؟

- كان بودّي أن أتّفق معك في الرأي لولا ذلك الساطور الذي استعملته ليلي جامبول في قتل عمّتها. ولعلك تذكر أن القاتل في قضية السيدة ماغنتي قد استعمل أداة تشبه الساطور.

وصمت بوارو قليلاً ثم قال: المفروض أن تكون إيفا كانْ -إذا كانت على قيد الحياة- في الستين من عمرها وتكون ابنتها في الثلاثين وكذلك شأن ليلي جامبول، أمّا جانيس كورتلاند فالمفروض أن تناهز الخمسين. والآن لننتقل بعد هذا إلى المقيمين في برودهيني وبالذات مَن كانت السيدة ماغنتي تعمل لديهم.

- هذا رأي سليم.

- لقد عثرَت السيدة ماغنتي على صورة فوتوغرافية في أحد تلك المنازل التي كانت تعمل بها بصفة منتظمة ولم يكن من حقها أن تطّلع عليها.

- تماماً.

- وتأسيساً على هذا الفرض -مع عدم إغفال واقعة السنّ- نبدأ بآل ويذربي حيث كانت تعمل السيدة ماغنتي يوم وفاتها. إن سنّ السيدة ويذربي يضاهي سن إيفا كانْ، وللأُولى ابنة في مثل سِنّ ابنة إيفا كانْ، ابنة قيل إنها من زوج سابق. أمّا عن زوج السيدة ويذربي فهو رجل في وسعه أن يبدو ثقيل الظلّ متى شاء، وأمّا الابنة فهي شديدة التعلّق بأمّها وشديدة الكراهية لزوج أمّها، وقد تُقدِم الابنة على القتل لتحُول دون تسرُّب شيء من ماضي أمّها إلى مسامع الزوج، ويمكن للأمّ أن تفعل ذلك لنفس السبب، وهذا ما يمكن أيضاً أن يفعله الزوج خشية الفضيحة.

- وهكذا يمكن أن نضع آل ويذربي في رأس القائمة.

- تماماً، والسيدة الأخرى التي يمكن أن تتّفق سِناً مع إيفا كانْ هي السيدة أبوارد، وثمة اعتراضان على التسليم بأن السيدة أبوارد هي إيفا كانْ. أولهما أن السيدة أبوارد مريضة بالنقرس وتقضي معظم ساعات يومها فوق مقعدها المتحرّك، والاعتراض الثاني هو أن السيدة أبوارد تبدو أبعد ما تكون عن صفات إيفا كانْ الخُلقية، وإن قيل إن صفات المرء قد تتغيّر على مَرّ السنين.

- بمعنى أنه لا يمكن الجزم باستبعاد السيدة أبوارد. والآن

إلى جانيس كورتلاند.

- في رأيي لا يمكن استبعادها؛ إذ لا يوجد في برودهيني من تقاربها سِناً، هذا ويوجد في برودهيني ثلاث نساء يناهزن الثلاثين من عمرهنّ، فهناك ديردر هندرسون وزوجة الطبيب رينديل، والسيدة كاربنتر، وإن أيّاً منهن يمكن أن تكون ليلي جامبول أو ابنة إيفا كانْ.

- وما تقديرك الشخصيّ لجميع الاحتمالات؟

- السيدة رينديل تخشى شيئاً ما.

- أيْ أنها يمكن أن تكون ابنة إيفا كانْ أو ليلي جامبول؟ أهي شقراء أم سمراء؟

- شقراء.

- لقد كانت ليلي جامبول طفلة شقراء.

- والسيدة كاربنتر هي الأخرى شقراء، وهي امرأة في مقتبل العمر تُعْنَى بزينتها إلى أقصى حدّ، ولها عينان نفّاذتان في زُرقة مياه البحر وعُمقه.

- حقاً يا بوارو.

- أَتعرف كيف كانت تبدو حينما انطلقَت من الغرفة تنادي زوجها؟ كانت تبدو كالفراشة الحائرة الفزِعة.

- يا للخيال! يا للشاعرية! ما هذه التشبيهات الرائعة؟

- لا؛ أنا رجل عمليّ وواقعيّ، وما أردت أن أقوله لك هو أنه إذا ما اقتضت دواعي التزيُّن من المرأة أن تتخلّى عن

عينيها فهي تتخبّط تخبُّط الفراشة القصيرة النظر.

وأومأ بسبّابته إلى الصورة الفوتوغرافية للطفلة ليلي جامبول كما تبدو بعينيها السميكتين، فقال سبنس: إذن فهذا هو اعتقادك؟ ليلي جامبول؟

- لا، فهي مجرّد احتمالات. إن كاربنتر حينما ماتت السيدة ماغنتي لم تكن بعدُ السيدة كاربنتر، لقد كانت أرملة صغيرة رقيقة الحال تقيم بأحد بيوت العمّال، وكانت مخطوبة إلى جارها الثريّ، وهو رجل ذو طموح سياسيّ معتدّ بنفسه. وإذا ما كان جاي كاربنتر قد اكتشف أنه في طريق الزواج بفتاة وضيعة اعتدَت على عمّتها بساطور فقضت على حياتها أو ابنة لكريج المجرم الأثيم فهل تراه كان يقدِم على مثل هذا الزواج؟ وقد تقول إنه ربما فعل هذا لأنه كانَ مدلّهاً في حب الفتاة، ولكنه ليس من هذا الطراز من الرجال؛ فهو رجل لا يعنيه من الحياة سوى نفسه ومستقبله وتحقيق أمانيه. وأعتقد أنه إذا ما كانت السيدة سكيرك (وهذا هو اسمها حينذاك) حريصة على إتمام تلك الصفقة فستعمد إلى كل ما من شأنه أن يُبعد عن مسامع خطيبها ما قد يسيء إليها.

- فهمت، أنت تعتقد أنها هي، أليس كذلك؟

- أعود فأقول لك أنا لست أدري وإنما أستعرض كل الاحتمالات.

- هلاّ كاشفتني بحقيقة رأيك؟

- رأيي ليس هو بيت القصيد؛ إذ يجب أن أعرف وأتأكد، فأمامي أكثر من طائر ولم أستبِن بعدُ مَن أوجّه إليه

رُمحي من هذه المجموعة، ولا يجمل بمثلي أن يقع فيما يقع فيه من أخطاء.

- بما يعني أنك لم تتجاوز بعدُ مرحلة النظريات!

- المشكلة أشدّ تعقيداً مما قد يُخيّل إليك، وحلُّها يتوقّف على حساب دقيق لجميع الملابسات والظروف من شخصية إلى عائلية إلى اعتبارية، فجميع هذه الدوافع يجب أن تجتمع وتتجلّى. ولا تنسَ أن هناك شخصيات جانبية لم نتحدّث عنها بعدُ مثل روبين أبوارد. وكل شخصية من هذه الشخصيات سواء الأصلية أو الجانبية لها وعليها كما يقولون.

فأطرق سبنس ثم قال: يا له من ميدان فسيح مترامي الأطراف! نحن بحاجة إلى فسحة من الوقت ولكننا نعرف أن الوقت لا يتّسع لكل ما نبغي. نحن نريد أن تتاح لنا الفرص لنتحرّى عن كل مشتبَه فيه ونتقصّى حقيقة حاضره وماضيه إلى أن يصبح الاحتمال يقيناً لا شك فيه.

- قد يحدث ما ليس في الحسبان.

ونهض بوارو مستأذناً في الانصراف وهو أكثر انقباضَ نفسٍ مما كان يبدو؛ فضيق الوقت يقف سدّاً منيعاً في وجهه، وهوَ بحاجة إلى فسحة من الوقت لا سبيل إليها مع حُكم بالإعدام تحدّد يوم تنفيذه.

ثم يبقى بعد هذا كلّه ذلك الشك الذي طغت عليه الفكرة الجديدة، لماذا لا يكون جيمس بنتلي هو المجرم الحقيقي على الرغم من كل ما تقدّم به سبنس من حُجَج وسلّم بها بوارو مبدئياً؟

عاد بوارو يستعيد لقاءه بجيمس بنتلي ماثلاً في ذهنه وهو واقف على رصيف المحطة في انتظار قطار كليشستر، وكان اليوم يوم سوق والرصيف مزدحماً. وفجأة شعر بيد تدفعه بقوّة من ظهره، وكادت من العنف أن تلقي به فوق القضبان في طريق القطار القادم لولا أن يداً أمسكت به لتقيه من عثرته في الوقت المناسب. وكان منقذه جندياً في الجيش فشكر له صنيعه، وأخذ الجندي بيدِ بوارو وهو يستقلّ القطار إلى أن أجلسه في مقعده.

ولم يكن ثمة شك في أن مقابلاته في برودهيني قد أسفرت عن نتيجة لا مِرْية فيها، وهي أن واحداً ممن التقى بهم قد بلغ به الخوف إلى حدّ التفكير في إنهاء حياة الرجل الذي جاء ينبش الماضي ويثير ما كمن منه.

ومن محطة سكة حديد برودهيني اتصل بوارو هاتفياً بالمفتش سبنس.

- استمع إليّ جيداً؛ فلديّ أنباء لك، أنباء رائعة، لقد حاول أحدهم قتلي.

وأنصت راضياً إلى تعقيبات المفتش سبنس ثم أردف قائلاً: لا، لم أُصَب بأذى غير أني كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت. نعم، تحت عجلات القطار. لا، لم أتحقّق من الفاعل ولكن ثِق يا صديقي من أنني سوف أعرف من هو. نحن واثقون الآن من أننا نسلك الدرب الصحيح.

* * *

الفصل الثاني عشر

كان التعاون يمضي قُدماً في لابورتمز (منزل آل أبوارد) بين روبين أبوارد والسيدة أوليفر في وضع المسرحية المقتبسة من قصّة لتلك السيدة.

قال روبين: لعلك ترَين براعة هذا الموقف، وإذا ما تسنّى لنا أن نوقظ الشوق بين الفتى والفتاة فسوف يدفع هذا بالموقف إلى الذروة.

وكانت السيدة أوليفر شاردة الذهن فأجابت متجهّمة: أُدرك ما تعني.

- المهمّ أن ألمس تحمّسك لهذا الرأي وسعادتك به.

ولم يكن في وسع السيدة أوليفر أن تبدو راضية سعيدة ما لم تكن ناجحة. لقد كانت شاردة لأن ذهنها لم يهضم الفكرة. وحاول الكاتب المسرحيّ جاهداً أن يقنع كاتبة القصّة الأصلية بوجهة نظره، ودارت بين الاثنين مناقشة طويلة حول الموقف المقترَح وما يريد روبين أن يدخله عليه من تعديلات إلى أن ضاقت السيدة أوليفر ذرعاً بذلك الجدل العقيم فنهضت قائلة: أنا بحاجة إلى الهواء الطلق.

- هل أصحبك؟

- لا، أريد أن أنطلق بمفردي.

- كما تشائين، ربما كنت على صواب. سأنصرف إلى والدتي حتى لا تشعر بأنها أُهملَت، فهي تحبّ أن تشعر بأنها موضع الرعاية. وسوف يتّسع لنا الوقت لتدبير الموقف التمثيلي في هدوء. سيكون موقفاً رائعاً!

- أرجو أن أقتنع بذلك.

وبعد أن ألقَت بمعطفها فوق كتفيها انطلقت تتجوّل في برودهيني، ورأت أن خير وسيلة لتنفض عنها متاعبها أن تنأى عن عالم القصّة والخيال بالتركيز في عالم الواقع. إن هيركيول بوارو بحاجة إلى العون وعليها أن تقوم باختبار سكان برودهيني ودراسة شخصياتهم لعلها تستطيع -بوازع من إلهامها الذي لم يتخلّ عنها من قبل- أن تتعرّف على القاتل الحقيقي وتقدّمه إلى بوارو، ومن ثَمّ لا يبقى عليه سوى أن يقيم الدليل القاطع على جُرمه.

وبدأت السيدة أوليفر تنفيذ خطّتها بالاتجاه صوْب مكتب البريد لابتياع بعض الطوابع، وفي أثناء عملية الشراء راحت تتحدث مع السيدة سويتي مان، وتعمّدت في حديثها أن تحيط السيدة سويتي مان علماً بأنها تقيم في منزل آل أبوارد، فقالت السيدة سويتي مان: أجل، أعرف ذلك. أنت السيدة القادمة من لندن والتي تقوم بكتابة قصص الجريمة.

فقالت السيدة أوليفر: لقد حدثت في بلدتكم جريمة قتل فيما علمت.

- أجل، في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. لقد كانت على مقربة من هذا المكتب.

- سمعت بأنه يوجد شرطي سرّي في القرية لإعادة التحرّي في تلك القضية، فهل هذا صحيح؟

- أتعنين الرجل الأجنبي المقيم في لونغ ميدوز؟ لقد كان هنا بالأمس.

وكفّت السيدة سويتي مان عن مواصلة الكلام لقدوم عميل آخر، وأسرعت إلى الناحية الأخرى قائلة: سعدتِ صباحاً يا آنسة هندرسون، الطقس دافئ اليوم.

- أجل.

وتأمّلت السيدة أوليفر ظَهر الفتاة الطويلة، وسمعت السيدة سويتي مان تسألها: كيف حال السيدة ويذربي؟

- على ما يرام، هي لا تغادر الدار كثيراً.

- يوجد فلم ممتاز في دار العرض بكليشستر هذا الأسبوع يجب أن تشاهديه.

- لقد كنت أفكر في مشاهدته الليلة الماضية.

وبعد انصرف الفتاة قالت السيدة أوليفر: هل السيدة ويذربي مريضة؟

- يقولون هذا. هو الفراغ يا سيدتي!

- وهذا ما أراه فعلاً، وطالما أشَرتُ على السيدة أبوارد بمحاولة النهوض عن مقعدها والاعتماد على ساقَيها.

- هي تغادر مقعدها حينما تريد، هذا ما سمعت به.

- أحقاً؟! أتراكِ سمعت ذلك من وصيفتها جانيت؟

- نعم، إنّ جانيت غروم تضجّ بالشكوى أحياناً؛ فهي عانس متقدّمة في السنّ وتشكو من ألم شديد في العظام، أمّا السيدة ويذربي فتشكو من داء النقرس الذي يصفونه بأنه مرضِ الخاصّة المترَفين. أنا أرى أنها مجرّد أوهام فراغ لا يجد أمثالنا متّسعاً من الوقت للتفكير فيها.

- أنا معك في الرأي.

وغادرت مكتب البريد في أعقاب ديردر هندرسون، وأصبح من اليسير على السيدة أوليفر أن تنخرط في حديث مع الآنسة هندرسون مستغلّة الكلب الذي معها، ونجح الأسلوب وتمّ التعارف على نحو طبيعيّ لا يثير الريبة، وقالت ديردر هندرسون متسائلة: أنت... أنت إذن إريادن أوليفر، أليس كذلك؟

- بلى، وأقيم مع آل أبوارد.

- أعرف هذا، لقد حدّثنا روبين عن قدومك، وأحب أن أصارحك بأنني جدّ معجبة بقصصك.

- يسرّني سماع هذا منك، شكراً.

- ومع هذا لم يتيسّر لي قراءة الكثير منها لأننا لا نحصل على ما نبغي منها بسبب كراهية والدتي للقصص البوليسية؛ فهي تثقل علي أعصابها وتقضّ مضجعها، أما أنا فمولعة بها.

- لقد شاهدتم جريمة حقيقية هنا، أليس كذلك؟ أيّ من

هذه الأكواخ كان مسرحاً للجريمة؟

- هذا الكوخ هناك.

وأومأت ديردر هندرسون إلى كوخ السيدة ماغنتي الذي راحت السيدة أوليفر تنظر إليه ثم قالت: هو لا يبدو كبيت أنه كان مسرحاً لجريمة قتل!

- أجل، هو لا يبدو كذلك فعلاً.

وكان واضحاً أن المرأتين على وفاق في الرأي، وأردفت السيدة أوليفر قائلة: كانت القتيل خادماً عجوزاً كما سمعتُ، وقد سطا عليها شخص ما لسلب نقودها.

- الفاعل هو الساكن المقيم في منزلها، وكانت تحتفظ ببعض النقود في منزلها تحت أرضية الغرفة.

- أهكذا؟

غير أن ديردر هندرسون انفجرت تقول فجأة: ويمكن ألاّ يكون هو الفاعل الحقيقيّ؛ فيوجد رجل أجنبي غريب الأطوار في هذه الناحية يُدْعى هيركيول بوارو.

- هيركيول بوارو؟! أنا أعرف كل شيء عنه!

- هل هو حقيقةً شرطي سرّي؟

- إنه من كبار رجال الشرطة السرّيين في العالم.

- إذن ربما وُفِّق إلى إثبات أن الرجل ليس هو القاتل؟

- مَن تعنين بـ"الرجل"؟

- جيمس بنتلي، كم أرجو أن تظهر براءته!

- حقاً؟! ولماذا؟

- لأنني لا أريد أن يكون هو الفاعل الحقيقيّ وطالما رجوت هذا.

وبوغتَت السيدة أوليفر بما سمعته وما لمسته في نبرات صوت الفتاة، فقالت لها: هل كانت لك به معرفة سابقة؟

- لا، لم يكن لي به معرفة غير أنه تصادف أن أطبق فخّ على ساق كلبي فساعدني على إنقاذه وتبادلنا حديثاً قصيراً.

- وكيف كان يبدو؟

- كان واضحاً أنه يشعر بوحدة شديدة وأنه كان يعطف كثيراً على والدته التي تُوفّيَت مؤخّراً.

- وهل هذا هو شأنك مع والدتك أيضاً؟

- نعم، وهذا هو ما جعلني أُدرك حقيقة مشاعره.

- أعتقد أن روبين حدّثني عن زوج أمّك.

فقالت ديردر والمرارة تبدو في لهجتها: أجل، هي متزوّجة بالسيد ويذربي منذ كنت في الرابعة من عمري. لقد تُوفّي والدي قبل أن أُولَد، ولم أشعر نحو ذلك الرجل الدخيل بغير الكراهية. والدتي ليست سعيدة معه، فهُما غير متفاهمَين. إن زوج أمّي رجل مجرّد من المشاعر غليظ القلب بارد الطباع.

فأومأت السيدة أوليفر برأسها وهي تتمتم قائلة: إذن فجيمس بنتلي لا يبدو بالرجل المجرم.

– ما كنت أتوقّع قطّ أن الشرطة ستلقي القبض عليه، وأنا واثقة من أن الشرطة قد أخطأت فيما فعلت.

فقالت لها السيدة أوليفر مواسية: ربما وُفّق هيركيول بوارو في الكشف عن الحقيقة.

– أجل، ربما.

وكانتا قد بلغتا من سيرهما باب هنترز كلوز حيث تقيم ديردر هندرسون. ووقفت السيدة أوليفر تتابع بنظراتها الآنسة هندرسون لحظة، ثم أخرجت مفكرة من حقيبة يدها دوّنت بها: «ليست هي ديردر هندرسون». ووضعت أسفل كلمتَي "ليست هي" خطّاً سميكاً.

* * *

وفي منتصف الطريق في أثناء عودتها التقت بروبين أبوارد وفي صحبته سيدة أنيقة شقراء في مقتبل العمر، وقام بتقديم كل منهما إلى الأخرى قائلاً: إيف، هذه هي إريادن أوليفر الرائعة، هي رائعة في كل شيء، تجيد كتابة قصصها وكأنها ضالعة في عالم الجريمة. هذه هي إيف كاربنتر، زوجها مرشّح لعضوية البرلمان بدلاً من السير جورج كارترابت العجوز المتصابي. إيف تدعونا لقضاء الأمسية بمنزلهم تحية لك، فقد كنا نتوق إلى زيارتك لقريتنا. ألا يمكن أن تجعلي من برودهيني مسرحاً لقصّتك البوليسية؟

وتضامنت معه إيف كاربنتر في اقتراحه، واستطرد روبين قائلاً: ويمكن أن تجدي هنا من الشخصيات ما يلائمك، فلديك مثلاً هيركيول بوارو المقيم بمنزل آل سمرهايز. نحن في

طريقنا إليه لتصلح إيف من خطئها في حقه بالأمس بدعوته إلى حفل الليلة لأنها كانت تجهل حقيقة أمره. هل اتفقنا على أن تكون برودهيني مسرحاً لأحداث قصّتك التالية؟ أرى أن إيف متحمّسة لهذه الفكرة. ترى من سيكون القاتل؟ ومن سيكون المجني عليه؟

فتساءلت السيدة أوليفر وهي تواصل طريقها معهما: مَن يا ترى قاتل خادمتكم العجوز؟

- لا، لا، نحن لا نريد مثل هذه الجرائم البعيدة عن الإثارة. أعتقد أن إيف خير من تصلح لشخصية المجني عليها.

فقالت له إيف: ولِمَ لا تكون أنت المجني عليه في المسرحية القادمة؟

فأجابها روبين: نحن لم نستقرّ بعدُ على شخصية القاتل. ماذا ترين في والدتي؟ هي تستعمل المقعد المتحرّك وهكذا لن يكون هناك آثار أقدام.

- ولِمَ لا تكون أنت المجني عليه وديردر هندرسون هي القاتلة البعيدة عن كل مظنّة؟

- إريادن، لقد مهّدنا لك السبيل ولم يبقَ عليك سوى أن تستكملي صياغة القصّة أحداثاً وكتابة.

وكانوا قد بلغوا من مسيرهم باب لونغ ميدوز، واندفع نحوهم كلبان كبيران ينبحان، وخرجت إليهم مورين سمرهايز محاوِلة أن تُبعِد الكلبين عنهم معتذرة عمّا سبّباه لهم من إزعاج.

وبعد أن توقّفت مورين عن ثرثرتها قالت إيف تحدّثها: هل تتفضلان أنت وزوجك لقضاء السهرة معنا؟

- بكل سرور.

وأردف روبين قائلاً: وللاجتماع بالسيدة أوليفر، وإن كان يمكن أن تلتقي بها الآن، ها هي.

فقالت مورين: حقاً؟! يا للمفاجأة! أنت تقومين بالاشتراك مع روبين في إعداد مسرحية، أليس كذلك؟!

فعقّب روبين بقوله: وسوف تكون مسرحية رائعة. أرديان، لقد طرأت ببالي صباح اليوم فكرة عن توزيع الأدوار.

وانبرت إيف تقول لمورين متجاهلة ذلك الحديث الفنّي: أريد أن ألتقي بضيفك لأنني أريد أن أدعوه هو الآخر لهذه السهرة، هل هو بالداخل؟

- سوف نصطحبه معنا.

- أفضّل أن أوجّه إليه الدعوة شخصياً؛ ففي الواقع لقد كنت جافّة معه بالأمس.

- هو ما زال بالخارج، أو لعله عاد من حيث لا أدري كما يفعل أحياناً. سأتحقّق من ذلك.

* * *

الفصل الثالث عشر

اقتربت السيدة أوليفر وكأسها في يدها من هيركيول بوارو قُبَيل نهاية السهرة بمنزل آل كاربنتر وقالت له هامسة: هيّا بنا إلى الشرفة.

وفي الوقت نفسه وضعَت في يده قصاصة من الورق ثم اتجها معاً إلى الشرفة، وفضّ بوارو قصاصة الورق ليقرأ مدوّناً بها: «الطبيب رينديل»، ونظر إلى السيدة أوليفر متسائلاً فأومأت السيدة أوليفر برأسها في حركة عنيفة أسدلت خصلة من شعرها الأشيب فوق وجهها، وأردفت تقول: هو القاتل.

- أترَين هذا؟ على أيّ أساس؟

- هذا ما أُدركه، هو رَجُلنا قلباً وقالباً.

- ربما!

وكانت لهجة بوارو تنبئ عن عدم اقتناعه وهو يستطرد قائلاً: وماذا تقولين عن الدافع؟

- السلوك المعيب مِهَنيّاً. لقد علمَت السيدة ماغنتي بذلك، ومهما يكن من أمر الدافع فكن واثقاً من أنه الفاعل.

فقال بوارو: في الليلة الماضية حاول أحدهم دفعي إلى خطّ سكة الحديد بمحطة كليشستر.

- ربّاه! بقصد قتلك؟

- ليس في ذلك من شك.

- وكان الطبيب ريندیل في الخارج لعيادة مريض فيما أعلم.

- أجل، أعرف هذا.

- إذن فقد وضحت الأمور.

- ليس كما ترَين على وجه التحديد؛ فالسيد والسيدة كاربنتر كانا أيضاً في كليشستر الليلة الماضية وعاد كل منهما إلى المنزل بمفرده، ولا يعرف أحد ما إذا كانت السيدة ريندیل قد غادرت منزلها أم لا، والآنسة هندرسون تتردّد كثيراً على كليشستر لمشاهدة الأفلام.

- هي لم تغادر منزلها الليلة الماضية كما علمت منها.

- لا يجب أن تصدّقي كل ما يقال لك، لقد كانت فريدا (الخادمة الأجنبية) في دار العرض الليلة الماضية، وهي لا تستطيع أن تخبرنا مَن غادر أو لم يغادر هنترز كلوز الليلة الماضية. لعلك ترَين معي أنه ليس من اليسير الجزم بشيء معيّن.

- ومتى حدث ذلك لك؟

- في تمام الساعة التاسعة والنصف.

- معنى هذا أنه يمكن استبعاد كل من روبين ووالدته اللذين كانا يقضيان ما بين الساعة الثامنة والعاشرة والنصف في لعب الورق معي، وهذا التحديد الزمني لا يدَع مجالاً لشك.

ووجد بوارو السيدة سمرهايز مقبلة نحوهما تحمل كأسها بيدها قائلة: أنا أحبّ مثل هذه السهرات التي نادراً ما تجمعنا في برودهيني، فهي لا تقام إلاّ في المناسبات، كمناسبة وجودكما في هذه البلدة معاً. بودّي لو تسنّى لي تأليف الكتب! أنا لا أكاد أتقن شيئاً!

فقال لها بوارو: ولكنك خير زوجة وخير أمّ يا سيدتي.

- حقاً؟ وهل في هذا الكفاية؟

فسعل بوارو ولم يعقّب بشيء، وانطلق لسان السيدة سمرهايز بتأثير الخمر فراحت تطرق شتى الموضوعات المنزلية والتربوية، ثم عرجت على موضوع أثارته إحدى السيدات في إحدى المجلات النسائية، فقد تساءلت: هل الأفضل أن تتخلّى الأمّ عن طفلها وتسمح بأن تتبنّاه أسرة تستطيع أن تنفق بسخاء على تربيته وتعليمه وأن تهيّئ له حياة مترفة سعيدة؟ أم تحتفظ به لنفسها وهي التي لا تسمح لها إمكانياتها المادية بأن تقدّم له شيئاً من ذلك؟

ثم قالت ردّاً على هذا التساؤل: هذا تساؤل سخيف؛ فإذا استطاعت الأمّ أن تقدّم لطفلها الطعام الكافي فذلك هو المهمّ.

واستطردت قائلة وهي تحدّق إلى كأسها وكأنها تحدّق

النظر إلى كرة بلّورية: كان ينبغي أن أعرف؛ فقد كنت طفلة بالتبنّي وقد تخلّت عني أمّي لأسرة هيّأت لي حياة رغدة، ولكني كنت دائماً أشعر بالمذلّة والهوان لإحساسي بأن أمّي لم تكن تريدني وأنها تخلّت عني!

فقال لها بوارو: لعلها كانت تضحية منها لمصلحتك.

- لا أصدّق هذا، فهو قول يلتمسون به المعاذير والسلوى. كيف يتسنّى لأم أن تتخلّى عن ابنتها مهما كانت الظروف؟! إن مجرّد التفكير في هذا يؤذي شعوري! أنا ما كنت لأتخلّى عن أحد من أطفالي في مقابل كل ما في العالم من أموال!

فقالت السيدة أوليفر: لا شك في أنك محقّة فيما تقولين.

وأردف بوارو قائلاً: وأنا أيضاً مع هذا الرأي.

فقالت مورين مبتهجة: إذن فقد اتفقنا؟!

وأقبل روبين ينضمّ إليهم قائلاً: فيمَ كان الجدل؟

فقالت له مورين: في موضوع التبنّي، أنا لا أُقرّ هذا الأسلوب. هل تُقِرّه؟

- أليس خيراً من أن يظلّ الإنسان يتيماً لا عائل له؟ ألا ينبغي لنا أن ننصرف الآن يا إريادن؟

وانصرف الضيوف جماعة، وكان الطبيب ريندیل قد سبقهم إلى مغادرة الدار، وسار الضيوف يتضاحكون ويسمرون بفرح ونشوة. وعندما بلغوا من سيرهم باب منزل

روبين ألحّ عليهم في الدخول قائلاً: تعالَوا كي نحكي لوالدتي كل ما كان في الحفل فنخفّف عنها ما شعرت به من سأم لعدم استطاعتها الاشتراك معنا.

واستجابوا لسؤاله، وبدت السيدة أبوارد سعيدة بزيارتهم وسألت: ومن كان هناك غيركم؟ آل ويذربي؟

- لا؛ فقد كانت السيدة ويذربي معتكرة المزاج وأبت الآنسة هندرسون أن تحضر بمفردها.

فعقّبت شيلا رينديل بقولها: إنها فتاة عاطفية تبعث على الرثاء.

فقالت مورين: الخطأ خطأ أمّها، هناك أمّهات يلتهمن أبناءهن التهاماً!

وانخرط الجميع في حديث عن بعض مظاهر الحنان الطاغي، وعرج الحديث بهم إلى تأثير الوراثة والبيئة إلى أن قطعت السيدة أبوارد برأي في الموضوع الأخير بقولها: العِبرة بالوراثة، أمّا البيئة فقد تكون عاملاً مقوّياً فقط.

وعارضت شيلا رينديل ذلك الرأي، واشترك الجميع في المناقشة كلٌّ يُدْلي برأيه، وأيّد جوني سمرهايز السيدة أبوارد في رأيها من أن الوراثة والنشأة الأولى هما أهمّ العوامل في تكوين الإنسان. وامتدّ بهم الجدل إلى أن شعروا بأنه من الخير التحوّل إلى موضوع آخر فقال قائل منهم: سيّد بوارو، هلاّ حدثتنا عن السيدة ماغنتي؟ ولماذا لم يكن ذلك الساكن هو الذي قام بقتلها؟

فأردف روبين يقول: طالما التقيت به بين المزارع

والحقول وكنت أرى فيه رجلاً غريب الأطوار!

وسمع بوارو آخَر يقول له: لا بدّ وأن لديك من الأسباب ما حدا بك إلى الاعتقاد بأنه لم يقتل السيدة ماغنتي، هلاّ صارحتنا بما لديك من هذه الأسباب؟

وابتسم بوارو وهو ينقل بصره من متسائل إلى آخر قائلاً: إذا لم يكن هو القاتل فمن عساه أن يكون القاتل الحقيقي؟ هذا هو السؤال.

فقال السيدة أبوارد محتدّة: كفاكم إحراجاً للرجل، ألا يُحتمَل أنه يشك في واحد منا؟

- واحد منا؟!

والتقت عينا بوارو بعينَي السيدة أبوارد ورأى في عينيها نظرات الدُّعابة والتحدّي معاً، وأردف روبين قائلاً باستخفاف: هو يشك في واحد منا! والآن، مورين، أين كنت ليلة...؟

فأسرع بوارو يقول: ليلة ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر).

فأجابت مورين: ربّاه! لست أذكر!

- ومَن ذا الذي يذكر بعد هذه الفترة الطويلة؟

فقال روبين معقّباً: أمّا أنا فبوسعي ذلك لأنني كنت أقوم بإذاعة حديث المسرح من مدينة كولبورت، وكان حديثي يتناول بإفاضة موضوع مقتل خادم غلزورثي في مسرحية الصندوق الفضّي. وحدث أن قُتلَت السيدة ماغنتي في اليوم التالي، وتساءلت ما إذا كانت الخادم في المسرحية تشبه

السيدة ماغنتي في قليل أو كثير أم لا.

فقالت شيلا رينديل: تماماً، وأذكر الآن أنك قلت إن والدتك ستشعر بالوحدة لأن تلك الليلة كانت يوم راحة جانيت فقدِمتُ لأؤنس وحدتها، وفي اليوم التالي حينما سمعت بمقتل السيدة ماغنتي تبادر إلى ذهني أنني ربما كنت قد التقيت بالقاتل في الظلام لأننا كنا نحسب في بادئ الأمر أن أفّاقاً قد قام بالسطو على منزلها.

فقالت مورين: أمّا أنا فما زلت لا أذكر شيئاً عن تلك الليلة، ولكني أذكر ما كان من أمري في صباح اليوم التالي حينما علمت من الخبّاز نبأ مقتلها. أنا أرتعد فَرَقاً لمجرّد استعادة تلك اللحظات!

وكان بوارو منصرفاً إلى تأمّل السيدة أبوارد، كان يرى فيها امرأة لا تعرف الرحمة، أنانية لا يعرف الندم إلى قلبها سبيلاً. وأيقظه من تأمّلاته صوت شيلا رينديل وهي تسأل: سيد بوارو، هل عثرت على أدلّة جديدة؟

- ما دُمتم تريدون الأدلّة فإليكم ما تريدون.

وأخرج بوارو من جيبه أربع صور فوتوغرافية ألقى بها فوق المنضدة بحركة مسرحية، وأسرعوا إلى المنضدة يتدافعون حولها مردّدين ملاحظاتهم عمّا بالصور من ثياب وقبّعات وزينة متسائلين عمّن عساهن أن يكنّ وعن حقيقة أمرهن، وكان بوارو يتأمّل وجوه الملتفّين حول المنضدة ولكنه لم يرَ فيها شيئاً لم يكن يتوقّعه، فسألهم: ألم تتعرّفوا على أيّ منهن؟

- نتعرّف؟!

- ألا تذكرون أنكم رأيتم هذه الصور الفوتوغرافية أو أيّاً من صاحباتها من قبل؟ أرى أن السيدة أبوارد تريد أن تقول شيئاً.

فتردّدَت السيدة أبوارد قبل أن تقول: نعم، أظن.

- أيّ منهن؟

فأومأت بسبّابتها إلى صورة ليلي جامبول الطفلة بعيونها، فقال بوارو: هل رأيتِ هذه الصورة الفوتوغرافية من قبل؟ متى كان ذلك؟

- حديثاً. تُرى أين؟! لا، لست أذكر، ولكنني واثقة من أنني رأيت صورة فوتوغرافية طبق الأصل من هذه.

وجلسَت مقطّبة الجبين عاقدة ما بين حاجبَيها، وتنبّهت من استغراقها على صوت السيدة رينديل التي أقبلت عليها قائلة: إلى اللقاء يا سيدة أبوارد، أرجو أن تتناولي معي كوباً من الشاي إذا ما تسنّى لك هذا صحّياً يوماً ما.

- شكراً، على أن يوافق روبين على دفع مقعدي المتحرّك.

فقال روبين: بكل تأكيد يا أمّاه؛ فدفع هذا المقعد يقوّي من عضلاتي. هل تذكرين يوم توجّهنا إلى آل ويذربي وكانت...

وفجأة قالت السيدة أبوارد: آه!

- ماذا بكِ يا أمّاه؟

- لا شيء، واصل حديثك.

وبعد أن استطرد روبين في وصف ما عاناه في ذلك اليوم الممطر استأذنوا جميعاً في الانصراف وانطلقوا وهم يضحكون. ودار بخلد بوارو أن الخمر عادة ما تطلق الألسنة من عقالها. أتراه كان مصيباً أم مخطئاً في عرض تلك الصور الفوتوغرافية؟ هو لا يعرف الإجابة عمّا يدور بذهنه من أسئلة. واعتذر لصحبه بأنه مضطرّ إلى أن يَقفُل راجعاً.

وعاد أدراجه إلى الباب الخارجي واتجه عبر الممشى إلى المنزل، وسمع عبر النافذة المفتوحة عن يساره صوت حديث بين اثنين. وتبيّن أن الحديث يدور بين روبين والسيدة أوليفر، فدفع بوارو باب المنازل واتجه إلى يمينه حيث توجد الغرفة التي غادرها لتوّه، وكانت السيدة أبوارد جالسة أمام المدفأة وهي متهّجمة الوجه مستغرقة في تأمّلها، فأفزعها قدومه ولم تشعر به قبل أن يسعل معتذراً.

وبادرته قائلة: أهذا أنت؟! لقد أفزعتني!

- معذرة يا سيدتي. لِمَن تكون الصورة الفوتوغرافية؟

ولم تُجِب عن سؤاله بل قالت: هل تركت وراءك شيئاً؟

- لقد تركت ورائي الخطر.

- الخطر؟!

- الخطر على حياتك؛ فقد تعرّفتِ على إحدى الصوَر.

- أنا لم أقُل إنني تعرفتُ، فالصور كلّها متشابهة.

- استمعي إليّ يا سيدتي. السيدة ماغنتي هي الأخرى قد تعرّفَت على إحدى هذه الصوَر، والسيدة ماغنتي الآن في عداد الموتى.

وفوجئ بها تردّد الأغنية وقد ومضت عيناها سخرية: «السيدة ماغنتي، كيف ماتت؟ لقد برز رأسها كحرف الألف»... هل هذا ما تعنيه؟

- نعم، لئن كنت تعرفين شيئاً كما يبدو فأحرى بك أن تصارحيني به، ففي هذا كل الخير لك.

- الأمر ليس بالبساطة كما يبدو لك؛ فأنا لست واثقة من أنني أعرف شيئاً، لست واثقة من واقعة معيّنة على وجه التحديد، والذكريات الغامضة خدّاعة خطرة، وعلى المرء أن يتثبّت من كيف وأين ومتى كان ذلك كي تختمر لديه فكرة معيّنة.

- يبدو لي أن هذه الفكرة قد اختمرت فعلاً لديك.

- الأمر أبعد من هذا، وثمة عدّة عوامل مختلفة يجب أن تؤخذ في الاعتبار يا سيد بوارو. لا جدوى مما تدفعني إليه؛ فلست التي لا تتأنّى قبل الجزم برأي معيّن، أنا أحبّ التريّث والأناة، وعندما أقرّر أمراً فأنا أُقدِم عليه، ولكن قبل ذلك فلا.

- مهما يكن من أمر فأنا أرى فيك سيدة كتوماً.

- ربما إلى حدّ معيّن. إن المعرفة سلاح قويّ، وهذا السلاح لا يجب أن يُساء استعماله. وأرجو أن تغفر لي إذا قلت إنك لا تدرك أو ليس لك إلمام بجوانب حياتنا الريفية

أو الإنكليزية عموماً.

- أو بمعنى آخر أنت تريدين أن تقولي لي إنني لست سوى أجنبي عن هذه البلاد، أليس كذلك؟

فابتسمت السيدة أبوارد قائلة: ما أظنني بالغة هذا الحدّ من الغِلظة والخشونة.

- إذا لم تكن بك رغبة في مصارحتي بشيء فأمامك المفتش سبنس.

- لا؛ نحن لم نبلغ هذه المرحلة بعد.

- لا تنسَي أني حذّرتك، وأعيد القول عليك بأن تأخذي حذرك.

ذلك لأنه كان واثقاً في تلك الجلسة بالذات أن السيدة أبوارد تدرك تمام الإدراك متى وأين وقع نظرها على صورة ليلي جامبول الفوتوغرافية.

* * *

الفصل الرابع عشر

في صباح اليوم التالي قرّر هيركيول بوارو فيما بينه وبين نفسه أن مخاوفه في الليلة السابقة لم تكن على أساس وأن السيدة أبوارد سيدة متّزنة تستطيع أن تعتني بنفسها وتلتزم جانب الحذر. ومع ذلك فقد كان في نواح أخرى في حَيرة من أمرها وعجز عن إدراك مشاعرها، وكانً واضحاً أنها لا تريد أن تكشف له عن دخيلة نفسها وأنها قد تعرّفت على إحدى الصور وعقدت العزم على أن تنفرد بالعمل.

وتغيّر الطقس فجأة واختفت الشمس وسادت برودة الجوّ مما حدا ببوارو أن يعود أدراجه إلى البيت. هو بحاجة إلى أن يتثبّت من كل ما تبادر إلى ذهنه، وليته يستطيع العثور على السلاح الذي استُعمل في الجريمة!

وفي تلك اللحظة بالذات خُيّل إليه مما يشبه اليقين أنه رأى الأداة التي ارتُكبت بها الجريمة. وتساءل فيما بعد عمّا إذا كان قد وقع نظره على أداة الجريمة في مكانها هذا من قبل وغفل عن وجودها حيث كانت موجودة منذ قدومه إلى لونغ ميدوز أم لا؟ لقد كانت هناك فوق رفّ الكتب القائم بالقرب من النافذة. التقطها وفحصها ورفعها إلى أعلى في وضع

التأهّب للضرب.

وأقبلت مورين تلهث كعادتها وفي أعقابها كلباها قائلة: أتعبث بمطرقة السكر؟!

- إذن فهي مطرقة سكر.

- أجل.

وراح بوارو يقلب الأداة بين يديه فاحصاً ممعناً النظر في نقوشها النحاسية وفي حافّتها الحادّة في حين كان يزن ثقلها، وكانت مرصّعة هنا وهناك ببعض الأحجار الملوّنة ما بين زرقاء وحمراء، وعلى قمّتها تمثال طائر صغير فيروزي العينين. وأخيراً قالت مورين: أداة جميلة تصلح لقتل أيّ إنسان، أليس كذلك؟

ومدّت يدها تتناولها منه لتوجّه ضربة قاتلة غير هادفة في الفضاء، ثم عقّبت قائلة: في غاية السهولة. أعتقد أنه بوسعك أن تشجّ بها رأس من تشاء، أليس كذلك؟

ونظر بوارو إلى وجهها المنبسط الأسارير وهي تستطرد: لقد حذّرت جوني مما قد يتعرّض له إذا ما ضقتُ ذرعاً به، أنا أطلق على هذه الأداة اسم "خير صديق للزوجة"!

وضحكت ثم أعادت المطرقة إلى مكانها واتجهت صوب الباب وهي تقول: ترى ماذا أتى بي إلى هنا؟! لقد نسيت ما جئت من أجله! يحسن بي أن أنصرف الآن لتفقُّد الطعام قبل أن يحترق.

فاستوقفها بوارو متسائلاً: هل جئت بهذه المطرقة معك من الهند؟

– لا، لقد حصلت عليها من الأبرشية في عيد الميلاد عن طريق المبادلة بما يكون المرء في غنى عنه. لقد حصلت عليها مع إناء للقهوة، وأعتقد أنهما صناعة عراقية أو فارسية على حدّ قول آل ويذربي.

– هل أفهم من هذا أن المطرقة والإناء كانا من الأشياء التي استغنى عنها آل ويذربي؟

– نعم، فلديهم من مثل هذه الأشياء الكثير. يجب الآن أن أنصرف.

وأسرعت بالانصراف وأغلقت الباب خلفها، وعاد بوارو يلتقط المطرقة ويتجه بها إلى النافذة.

وتبيّن له أن فوق حافّة المطرقة بقعاً لا تكاد تُرى، فأومأ برأسه راضياً وتردّد قليلاً قبل أن يحمل المطرقة معه إلى غرفته، حيث وضعها بعناية في صندوق قام بتغليفه وحزمه وهو واثق من أن أحداً لن يتبيّن اختفاء المطرقة في هذا البيت الذي تعُمّه الفوضى.

* * *

في لابورتمز كانت عملية التعاون الأدبي تجتاز مرحلة دقيقة، فقد كان كل من روبين والسيدة أوليفر على طرفَي نقيض فيما يريانه من مواقف المسرحية وشخصياتها، وبلغ بهما ذلك الخلاف في الرأي حدّ المناقشة في بعض التفصيلات الثانوية، ورأى روبين أخيراً أن يرجئ العمل قليلاً قائلاً: إريادن، أشعر أنني لست على ما يرام، فلنؤجّل العمل في المسرحية ونتحدّث عن فريق التمثيل الذي سيُعهَد إليهم

بالأدوار المهمّة، فلو استطعنا الاتفاق مع دنيس كالوري لكان الحظ في جانبنا، وكذلك الأمر بالنسبة لجين بللوز، وأعتقد أنك توافقين على الذهاب معي إلى المسرح الليلة لتصارحيني برأيك في سيسيل، الممثل الأوّل في المسرحية.

فأسرعت السيدة أوليفر بالموافقة وهرع روبين إلى الهاتف وعاد يقول: لقد تمّ إعداد كل شيء.

خيّب النهار الآمال فيما بشّر به الصباح من يوم مشرق؛ فتجمّعَت السحب وأنذرت السماء بقرب هطول الأمطار في حين كان بوارو في طريقه إلى الباب الأمامي لمِنزل هنترز كلوز. وطرق بوارو الباب ووقف ينتظر ثم أعاد الكَرّة.

- أهذا أنت؟!

- هل تأذنين لي بالدخول والتحدّث معك؟

- نعم، بكل تأكيد.

وتقدّمته إلى غرفة الجلوس الصغيرة حيث جلس في الانتظار من قبل، وشاهد فوق رفّ المدفأة الإناء التوءم لإناء القهوة الذي شاهده بمنزل مورين، وكان الطابع الشرقي يغلب على تحف وأثاث الغرفة الصغيرة. وبادرته ديردر قائلة: معذرة عمّا قد تراه هنا من اضطراب؛ فالفتاة الألمانية التي كانت تقوم بمعاونتي سوف ترحل عنا ولم يمضِ عليها أكثر من شهر في خدمتنا. والواقع أنها اتّخذت من عمَلها هذا سبباً لدخول البلاد كي تتزوّج بمن تريد، ويبدو أنهما اتفقا على جميع الإجراءات على أن يبدأ التنفيذ الليلة.

- مثل هذه الأمور تحدث كثيراً في أيامنا هذه.

- لقد كانت تعتزم الرحيل دون أن تحيطنا علماً بذلك! ولولا أنني رأيتها تحزم ثيابها لكانت قد انصرفت دون أن يدري أحد! ماذا كنت تبغي مني يا سيد بوارو؟

- كنت أريد أن أستفسر منك عن مطرقة للسكر.

- مطرقة؟

وبدا على وجهها أنها لم تفهم شيئاً، فقال لها موضّحاً: أداة من النحاس عليها تمثال لطائرٍ مرصّعة بأحجار مختلفة الألوان. لقد علمت بأنها كانت من مقتنياتكم.

ولم يختلج وجهها بشيء، بل قالت ببساطة: أجل، لقد اشترتها والدتي من سوق بغداد، وهي إحدى السلع التي حملناها إلى الأبرشية.

- إتماماً لعملية المبادلة المتعارف عليها هنا، أليس كذلك؟

- بلى، ولدينا الكثير من هذه الأشياء، وهذا العُرف ييسّر لنا التخلّص مما ليست لنا به حاجة والحصول على ما نشاء من سلع أخرى.

- وأظن أن عملية المبادلة الخاصّة بتلك المطرقة قد تمت بمناسبة عيد الميلاد حينما بعثتم بها إلى الأبرشية.

فقطبت ديردر جبينها قائلة: لا، لم يكن هذا لمناسبة عيد الميلاد. لقد تم هذا في مناسبة سابقة، في عيد الحصاد.

- ومتى كان ذلك العيد؟

- في أواخر أيلول (سبتمبر).

وخيّم السكون على الغرفة الصغيرة، ونظر بوارو إلى الفتاة التي راحت تنظر بدورها إليه، ولم يختلج وجهها بما ينبئ عن أيّ انفعال من أيّ نوع. وأخيراً قال بوارو بصوت هادئ: هل أنت واثقة من أن المبادلة تمّت في عيد الحصاد وليس في عيد الميلاد؟

- كل الثقة.

- شكراً يا آنستي، والآن أرجو أن تأذني لي بالانصراف.

وصحبته إلى الباب الأمامي، وكان بوارو يُسرِع الخُطى عبر الممشى وكأنه يبغي بذلك أن يسبق خواطره. إنّ لا من أقوال الطرفين يختلف عن الآخر كل الاختلاف. تُرى مَن منهما الصادق؟ مورين سمرهايز أم ديردر هندرسون؟

فإذا ما كانت المطرقة قد استُعملَت في ارتكاب الجريمة كما هو المرجّح فمِن هنا تبدو أهميتها القصوى، وبالتالي مَن عساه أن يكون قد استعملها؟ إن عيد الحصاد في أيلول (سبتمبر)، وعيد الميلاد في كانون الأول (ديسمبر)، وفيما بين التاريخين قُتلَت السيدة ماغنتي بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر)، فمَن كان يقتني تلك المطرقة حينذاك؟

واتجه إلى مكتب البريد حيث استقبلته السيدة سويتي مان بالترحاب كعادتها، وقدّم إليها الصندوق لتسجيله كطرد.

* * *

الفصل الخامس عشر

ما إن عاد بوارو إلى البيت حتى ابتدرته مورين قائلة: لقد اتصل بك أحدهم هاتفياً.

- اتصل بي هاتفياً؟ ومن عساه أن يكون؟

- لا أدري، وقد دوّنتُ رقم هاتفه على دليل الهاتف.

- شكراً لك يا سيدتي.

وبعد أن عثر على الرقم المدوّن «٣٥٠ كليشستر» شرع في الاتصال به، وإذا به يسمع صوتاً نسائياً يجيب للنداء.

- بريذر وسكاتل معك.

- هل يمكن أن أتحدّث إلى السيد مود ويليامز؟

وبعد برهة قصيرة سمع صوتاً يقول: الآنسة ويليامز تتحدّث، مَن؟

- أنا هيركيول بوارو، أظن أنك اتصلت بي هاتفياً، أليس كذلك؟

- بلى، بلى، لقد كان اتصالي بشأن العقار الذي كنت تستفسر عنه في ذلك اليوم.

العقار؟! واستبدّت الحيرة ببوارو، ثم سرعان ما أدرك أن هناك من يسترق السمع على محادثة مود، ورجّح أن تكون الآنسة وليامز حينما اتصلت به من قبل قد انتهزت فرصة وجودها بمفردها في المكتب.

قال: فهمت، لقد كان هذا بشأن موضوع جيمس بنتلي والسيدة ماغنتي.

- أجل، هل يمكن أن نقوم بشيء من أجلك؟

- نعم، يبدو أنك لست بمفردك.

- حقاً.

- أُدرك هذا، عليك إذن أن تستمعي إليّ. هل تريدين حقاً مساعدة جيمس بنتلي في أزمته؟

- نعم، بكل تأكيد.

- هل يمكن أن تستقيلي من عملك؟

- نعم، ودون تردُّد.

- هل تقبلين العمل بأحد المنازل ومع قوم لا يأنس المرء إليهم؟

- نعم.

- هل يمكن أن تتركي عملك فوراً، غداً على الأكثر؟

- نعم يا سيد بوارو، أعتقد أنه يمكنني تدبير ذلك.

- أنت تدركين ما أريد منك القيام به، هل لك إلمام بشؤون المطبخ؟

- كل الإلمام.

- يا لنُدرة أمثالك! أصغي إليّ. أنا منطلق إلى كليشستر لتوّي، وسنلتقي في المقهى الذي سبق أن التقينا به.

- أجل، فهمت.

وانتهت المكالمة، ولم يتمالك نفسه من الإعجاب بتلك الفتاة وبسرعة بديهتها وبكل شيء فيها. ثم اتصل هاتفياً بمنزل آل ويذربي، وكان الصوت على طرف الخط الآخر هو صوت السيدة ويذربي.

- بوارو يتحدّث إليك يا سيدتي.

- مَن؟

- هيركيول بوارو.

- أجل، أجل، معذرة؛ هي فوضى الخدم!

- ولهذا السبب يا سيدتي اتصلت بك هاتفياً، ويؤسفني أن أسمع عن متاعبكم.

- هؤلاء الخدم فئة لا يؤمَن جانبهم، أنا أكره نكران الجميل!

- أنا مقدّر لمشاعرك، ولذلك أخبرك أني قد وجدت الحلّ لمشكلتكم. لقد تصادف أنني أعرف فتاة تريد أن تعمل بأحد المنازل، وهي ملمّة بشؤون المنزل والمطبخ بالذات، فهل أبعث بها إليكم؟ هي تُدْعى مود ويليامز.

- أرجوك أن تسرع يا سيد بوارو! أنا لا أستطيع أن أفيَك

حقّك من الشكر. إن زوجي دقيق في مواعيده ولا يتهاون في محاسبة ديردر عن كل صغيرة وكبيرة، فالرجال لا يقدّرون الأعباء المنزلية ولا يرحمون!

ثم توقّفت عن مواصلة حديثها وسمعها تتحدّث إلى شخص اقتحم عليها وحدتها وإن كانت قد حرصت على ألاّ يتسرّب من حديثها شيء إلى سمع بوارو. كانت تقول: هو ذلك الشرطي السرّي، كان يعرض عليّ أن يبعث إلينا مَن يحلّ محلّ فريدا. لا، ليست أجنبية، إنكليزية. هو مشكور على هذا، أرجوك ألاّ تعترض.

وبعد أن انتهى ذلك الحديث الجانبي واصلت السيدة ويذربي حديثها مع بوارو فشكرت له صنيعه، وبعد أن أعاد السمّاعة إلى مكانها ألقى نظرة على ساعته ثم اتجه إلى المطبخ حيث قال للسيدة سمرهايز: لن أعود في ساعة الغداء؛ فلدي عمل في كليشستر.

وغادر بوارو المنزل سعيداً بأنه سيُعفى من طعام السيدة سمرهايز.

* * *

ثار خلاف يسير في منزل آل أبوارد، فقالت السيدة أبوارد: بكل تأكيد يا روبين، أنت تنسى كل شيء حين تنصرف إلى كتابة إحدى مسرحياتك.

– أمّاه، أنا آسف جداً. لقد نسيت أن الليلة هي ليلة راحة جانيت الأسبوعية.

- ما علينا من هذا.

وأُرْتجَ القول على روبين وهتف: كيف؟! أنا لا أرضى بهذا، سأتصل بالمسرح لتأجيل ذهابنا إلى مساء الغد.

- لا تفعل شيئاً من هذا القبيل. أنت اتّفقت معهم على حضور حفل الليلة وسوف تحضر هذا الحفل، واعتبر أن المسألة منتهية.

- أستطيع أن أسأل جانيت إرجاء راحتها إلى الغد.

- قلت لا يا روبين. ألن نفرغ من هذا النقاش؟ أرجوك ألاّ تثقل عليّ؛ أنا لن أعدم وسيلة لقضاء الأمسية مع من يؤنسني.

- مع مَن يا ترى؟

- هو سرّ من أسراري.

- سأتصل هاتفياً بشيلا رينديل.

- أرجوك أن تدَع هذا لي، شكراً. لقد انتهينا من هذا الموضوع، وأرجو فقط ألاّ تنسى إعداد القهوة لي ولا تنسَ أن تُعِدّ كوبين.

* * *

الفصل السادس عشر

انتهى بوارو من إحاطة مود ويليامز علْماً بكل ما يريد في حين كان جالساً إلى مائدة الغداء في مطعم بلو كات، واختتم توجيهاته بقوله: لقد أدركتِ ما يجب أن نقوم به، أليس كذلك؟

- بلى.

- هل سوّيت أمورك في المكتب؟

فضحكَت قائلة: بعثتُ إلى نفسي برقيّة تتضمّن مرض عمّتي الشديد!

- حسناً، بقي توجيه آخر، يوجد في مكان ما من تلك القرية قاتل طليق السراح، وليس من شك في أن لهذا الواقع خطورته البالغة.

- أهو تحذير؟

- نعم.

- اطمئنّ بالاً.

- أرجو أن تضعي هذا نصب عينيك.

فضحكت ببساطة وانطلاق واستدارت بعض الرؤوس إلى الفتاة المرحة، وراح بوارو يتأمّلها ليجد فيها فتاة قوية الشخصية واثقة بنفسها تفيض حيوية ولا تتهيّب المخاطرة. قالت الفتاة: لقد سألتَني أن أقوم بهذه المهمّة، فلماذا تحاول أن تثبط من همّتي؟!

- لأن على كل مَن يعهد إلى أحد بمهمّة أن يبصّره بكل ما يكتنفها من مخاطر واحتمالات.

- لا أعتقد أن ثمة خطراً يتهدّدنني.

- هذا هو ما أراه، مؤقتاً. لا أحد يعرفك في برودهيني، أليس كذلك؟

- بلى، بوسعي أن أؤكد هذا. لقد تواجدتُ بها مرة أو مرتين لدواعي العمل وكان ذلك منذ خمسة أشهر.

- بمن اتصلتِ وأين تواجدتِ؟

- التقيت بسيدة عجوز تُدْعى السيدة كاسيرز أو كارليزل... لا أذكر! وكانت تريد شراء عقار في هذا الجوار فذهبت إليها ببعض الأوراق التي قمنا بإعدادها لها. لقد كانت مقيمة في نُزُل.

- في لونغ ميدوز حيث أقيم؟

- نعم، وهو بيت خالٍ من أسباب الراحة.

- وهل التقيتِ بالسيدة سمرهايز أو الميجور سمرهايز؟

- التقيت بالسيدة سمرهايز لأنها هي التي اقتادتني إلى

غرفة العميلة بالطابق الأعلى، إذ كانت تلازم فراشها.

- وهل يمكن أن تذكر السيدة سمرهايز ذلك اللقاء؟

- لا أعتقد، وإذا افترضنا العكس فهل يغيّر هذا من الأمر شيئا؟ وإن كنت أرجّح أنها لن تتعرّف عليّ لأنها كانت منصرفة عن النظر إليّ.

- وهل التقيتِ بأحد آخر في برودهيني؟

- التقيت بالسيد بنتلي.

- وهل كان لقاؤكما مصادفة؟

- لا، الواقع أنني كنت قد بعثت إليه بمذكرة لأحيطه علْماً بقدومي، ولم يكن ثمة مكان يصلح للقائنا سوى محطة السيارات في انتظار وصول السيارة التي كنت سأستقلّها في العودة.

- وهل كان ذلك اللقاء قبل مصرع السيدة ماغنتي؟

- نعم، قبل مصرعها بأيام قليلة.

- ألم يتحدّث إليك السيد بنتلي بشيء عن السيدة ماغنتي؟

- لا أذكر أنه فعل ذلك.

- ألم تتصلي بأحد آخر في برودهيني؟

- اتصلت بالسيد روبين أبوارد، وكنت قد استمعت إلى حديث له بالإذاعة ورأيته خارجاً من بيته وتعرّفت عليه مما نُشِر له من صور، وسألته أن يوقّع بإمضائه على قصاصة ورق

لم أكن أحمل معي سواها، وقد استجاب إلى سؤالي عن طيب خاطر.

وأومأ بوارو برأسه ثم أخرج من جيبه مظروفاً تناول منه الصور الأربع الفوتوغرافية ووضعها فوق المائدة قائلاً: هل يمكن أن تتعرّفي على أيّ من صاحبات هذه الصوَر؟

وتفرّست في الصور الفوتوغرافية قائلة: ماذا تبغي من عرض هذه الصور؟! هي قديمة العهد!

- لقد صُوّرَت منذ ثلاثين عاماً. هل رأيت إحداهن من قبل؟

- هل تعني بسؤالك الصور أم النساء؟

- سيّان.

- يخيّل لي أني رأيت هذه الصور بإحدى الصحف اليومية وإن كنت لا أذكر متى كان ذلك. وهذه الطفلة هي الأخرى تذكرني بشيء ما، غير أني لا أذكر عن ذلك شيئاً بالتحديد لطول العهد.

وكانت قد أومأت بإصبعها إلى صورة جانيس كورتلاند ثم إلى صورة ليلي جامبول، وعقّب بوارو بقوله: جميع هذه الصور نُشرَت بصحيفة صنداي كوميت في يوم الأحد السابق لوفاة السيدة ماغنتي.

فتفرّست مود في وجهه قائلة: بما يعني أن لهذه الصور علاقة بمقتلها؟

- نعم.

وأخرج من جيبه القصاصة المنزوعة من الصحيفة وقدّمها إليها قائلاً: من الخير أن تقرئي هذا.

وقرأت ما نُشر بإمعان ثم نظرت إليه قائلة: هكذا ومن هذه الصور ومما نُشر عنها بدأتَ تُرسي دعائم نظرياتك.

- لقد أجدتِ التعبير.

وأطرقت قليلاً قبل أن تقول: هل تعتقد أن إحداهن قد تكون مقيمة في برودهيني؟

- ولِمَ لا؟ ألا يحتمل هذا؟

- بلى، نحن لا يجب أن نستبعد شيئاً؛ فهذه السيدة قد تكون في عمر السيدة أبوارد.

وكانت تومئ إلى صورة إيفا كانْ.

- تقريباً، وهل تذكرين شيئاً عن قضية كريج؟

- ومَن لا يذكر تلك القضية؟ إن لكريج تمثالاً في متحف الشمع المعروف باسم مدام توسو. لقد كنت طفلة صغيرة حينذاك، ولكن الصحف دأبت على استعادة أحداث تلك القضية في معرض الحديث عن قضايا أخرى. أنا أعتقد أنها من القضايا التي لا تُنسى، أليس كذلك؟

ورفع بوارو عينيه إلى وجهها وهو يتساءل عن السرّ في تلك المرارة التي طرقت سمعه وهي تقول ذلك.

* * *

الفصل السابع عشر

استقرّت السيدة أوليفر في مكانها المنزوي من الغرفة الصغيرة المعَدّة لاستبدال الثياب المسرحية، وكانت تشعر بالحرج وقد أحاط بها ذلك الجمع من الشباب اللامع من الفنانين يحيّونها ويقدّمون إليها الأقداح.

وكانت السيدة أبوارد قد استحثّتها على الإسراع بالذهاب مع روبين إلى المسرح راجية لهما كل توفيق، وكان روبين قد عُني بتوفير جميع وسائل الراحة لأمّه قبل انصرافه وحرص على ألاّ يغفل شيئاً. وبعد أن استقرّ في مقعده بالسيارة قال مبتسماً: لقد حرصَت أمّي على ألاّ أعرف بمن ستتصل هاتفياً وتدعوه ليؤنس وحشتها ولكنني أكاد أن أعرف بمن ستتصل.

فأردفت السيدة أوليفر قائلة: وأنا بدوري أعرف ما تعرف.

- من تظنين؟

- هيركيول بوارو.

- أجل، لقد خمّنت ذلك؛ فوالدتي مولعة بالكتمان. والآن فلنتحدّث عن مسرحية الليلة، ومن الأهمية بمكان أن

أعرف رأيك -وبصراحة- في الممثل سيسيل، وما إذا كان يصلح للدور أم لا.

وغنيّ عن البيان أن رأي السيدة أوليفر في سيسيل لينسن كان معروفاً مقدّماً، فهو لا يصلح لذلك الدور على الإطلاق، وقد تأكد لديها هذا الرأي بعد مشاهدة المسرحية التي استمتعَت بها فعلاً على الرغم من رأيها الذي ينصبّ على صلاحيته للدور المعيّن له في المسرحية التي يكتبها روبين على أساس من قصّتها الأصلية.

وكان روبين قد أخذ سيسيل جانباً واستغرق معه في حديث جادّ، وكانت السيدة أوليفر تخشى أن ينتهي ذلك الحديث إلى ما لا تريد أن يكون، كما كانت تفضّل على سيسيل الممثل مايكل الذي كان يتحدّث إليها حديثاً رقيقاً في تلك اللحظة، وأقبل آخَر يُدْعى بيتر ليتدخّل في الحديث بينهما.

وانخرط الرجلان في حديث طويل عن روبين ووالدته إلى أن أقبل روبين فتغيّرت لهجة الحديث، وأبدى الممثلان أسفهما لعدم حضور السيدة أبوارد وسرورهما بحضور السيدة أوليفر الذائعة الصيت.

وما إن آن الأوان لعودة كل من السيدة أوليفر وروبين إلى المنزل حتى شعرت السيدة أوليفر بالإجهاد. ولما اقتربا من منزل لابورتمز قال روبين: ادخلي ريثما أودِع السيارة في المرآب.

وغادرت السيدة أوليفر السيارة في طريقها إلى المنزل

وسمعته يقول لها: الباب غير مغلق.

فدلفت السيدة أوليفر إلى البهو الذي كان مظلماً، واشتمّت رائحة عطرة لم تألفها في ذلك المنزل من قبل حتى خُيّل إليها أنها أخطأت المكان، واتجهت إلى الجدار لتضيء البهو. وسطع الضوء في البهو الأنيق وكان باب غرفة الجلوس مفتوحاً فوقع نظرها على قَدَم وساق، وتبادر إلى ذهنها أن السيدة أبوارد لم تأوِ إلى فراشها بعد وأنها قد استغرقت في النوم وهي جالسة في مقعدها.

وتقدّمت السيدة أوليفر من الباب لتضيء غرفة الجلوس قائلة: لقد عُدنا.

ثم توقّفَت الكلمات على لسانها، ورفعت يدها إلى عنقها لتطلق الصرخة التي احتبست في حنجرتها. ولم ينطلق صوتها بأكثر من الهمس قائلة: روبين... روبين!

وأخيراً سمعت وقع أقدامه عبر الممشى قادماً وهو يصفر بشفتيه، فهرعت إليه تستقبله في البهو قائلة: لا تدخل، لا تدخل؛ فوالدتك قد ماتت، أو... قُتِلت!

* * *

الفصل الثامن عشر

قال المفتش سبنس: يا له من عمل دقيق!

وكانت كل عضلة في وجهه تختلج غضباً وهو ينظر إلى حيث يجلس أمامه هيركيول بوارو مصغياً في أسىً وحزن، واستطرد قائلاً: عمل دقيق بَشِع! لقد قُتلت خنقاً بوشاح حريري كانت تضعه فوق منكبَيها في ذلك اليوم، ولم يكن على القاتل سوى أن يمسك بطرفيه ويطوق به العنق ثم يضغط! عملية دقيقة سريعة مضمونة. والمجني عليه سرعان ما يعجز عن الحركة أو الصياح إثر الضغط على الشريان السباتي والعظم اللامي. إن سفّاحي الهند يلجؤون إلى هذا الأسلوب في القتل.

- هل يتطلّب ذلك مهارة خاصّة؟

- ليس ثمة من حاجة إلى ذلك؛ فالأمر سهل يسير خاصة إذا كانت الضحية لا تشك في شيء، ويبدو أن المجني عليها كانت مطمئنة كل الاطمئنان إلى القاتل.

فأومأ بوارو برأسه قائلاً: هو أحد معارفها بكل تأكيد.

- أجل، وقد تناولا القهوة معاً. كان هناك كوب أمامها

وآخر أمام الضيف، وقد أُزيلَت البصمات عن كوب الضيف بكل عناية، وإلّم يتم هذا بالنسبة لآثار أحمر الشفاه التي يتعذر إزالتها كلّياً.

- إذن فالجاني امرأة.

- هل هذا ما كنت تتوقّعه؟

- نعم، نعم؛ فكل الدلائل توحي بذلك.

واستطرد سبنس: لقد تعرّفَت السيدة أبوارد على إحدى تلك الصور الفوتوغرافية، وهي صورة ليلي جامبول، وهكذا تتّضح الصلة بين هذه الجريمة وجريمة مقتل السيدة ماغنتي.

فقال بوارو معقّباً: نعم، فثمّة صلة بين الجريمتين.

وتبادرت إلى ذهنه صور السيدة أبوارد وقد انبسطت أساريرها حينما راحت تردّد أغنية وفاة السيدة ماغنتي.

وواصل سبنس حديثه قائلاً: لقد انتهزَت الفرصة السانحة، فرصة ذهاب ابنها مع السيدة أوليفر إلى المسرح، فاتصلت هاتفياً بالشخصية المعنية وسألتها أن تقدم لزيارتها. لقد كانت السيدة أبوارد تقوم بدور الشرطي السرّي، أليس هذا هو تصوّرك لما حدث؟

- شيء من قَبيلِ هذا، أو قُل هو الفضول وحبّ الاستطلاع. لقد احتفظَت بمعلوماتها لنفسها ولكنها أرادت أن تستزيد منها، ولم تدرك مدى ما يتهدّدها من خطر. لقد استخفّت بالخطر المحدِق بها على الرغم من تحذيري لها.

- نحن ندرك ذلك، وقد لمس منها ابنها حرصها على

كتمان اسم من كانت تعتزم الاتصال به هاتفياً لتدعوه لزيارتها، وقد دار بخلد روبين والسيدة أوليفر أن المدعو هو أنت.

- ليتها فعلت ذلك! هل لديك أية فكرة عمّن تكون قد اتصلت به؟

- لا، فالهواتف هنا أوتوماتيكية.

- وما معلومات الوصيفة؟

- لقد كانت الوصيفة بالخارج وعادت إلى المنزل بعد العاشرة والنصف عن طريق الباب الخلفي المؤدّي إلى المطبخ ومنه إلى غرفتها الخاصّة، وكان البيت مظلماً فافترضت أن السيدة أبوارد قد أوَت إلى فراشها وأن الآخرين لم يعودوا بعد.

وهنا أقبل شرطي يقول: سيدي، توجد سيّدة ترغب في مقابلتك وتقول إن لديها من المعلومات ما يجب أن تطلعك عليه بشأن حادث الليلة الماضية.

فقال سبنس: بشأن الليلة الماضية؟ دعها تدخل.

وأقبلت ديردر هندرسون شاحبة الوجه محاوِلة أن تبدو رابطة الجأش وقالت: لقد رأيت أنه قد يكون من الخير أن أحضر، أرجو ألاّ أكون قد أقحمت نفسي عليكما.

- لا، لا. تفضّلي.

ونهض سبنس وقدّم لها مقعداً فجلسَت عليه كما تجلس فتيات المدارس في ارتباك وحيرة، وبادرها سبنس مشجّعاً:

حديثك بشأن الليلة الماضية كما فهمت، عن حادث السيدة أبوارد؟

- نعم، هل حقاً أنها قُتلَت؟ لقد سمعت النبأ من الخبّاز ومن مكتب البريد، وقالت والدتي إن هذا أمر لا يمكن تصديقه.

- أخشى أن تكون والدتك قد جانبها الصواب في تقديرها هذا، فالنبأ صحيح لا مرية فيه. والآن هل تريدين أن تفضي إلينا بشيء ما؟

- نعم، لقد كنت هناك.

فبُهت سبنس وحاول أن يضبط شعوره ويتمالك نفسه فقال: كنت هناك؟! في منزل لابورتمز؟! ومتى كان ذلك؟

- لست أدري على وجه التحديد، كان ذلك فيما بين الثامنة والنصف والتاسعة فيما أعتقد، وعلى الأرجح قرابة التاسعة بعد العشاء. لقد اتصلت بي هاتفياً.

- السيدة أبوارد اتصلت بك هاتفياً؟

- نعم، وقالت إن روبين والسيدة أوليفر سيمضيان السهرة في كولينكاي وهي ستشعر بالوحدة وتودّ لو زُرتها لأتناول كوباً من القهوة معها.

- هل لبّيت الدعوة؟

- نعم.

- وتناولت كوباً من القهوة؟

- لا؛ فقد توجّهتُ إلى منزلها وطرقتُ الباب غير أن أحداً لم يستجب لطَرقاتي، فدفعت الباب ودلفت إلى البهو الذي كان مظلماً، كما تبيّنت أن غرفة الجلوس هي الأخرى كانت في ظلام دامس، فتملّكتني الحيرة وناديت السيدة أبوارد أكثر من مرة ولكنها لم تُجب، فخُيّل إليّ أنها ربما تكون قد صحبتهم إلى المسرح في آخر لحظة.

- دون أن تنبئك بذلك؟

- هذا ما تبادر إلى ذهني فعلاً.

- ألم يَدُر بخلدك خاطر آخر؟

- لقد خُيّل إليّ أن فريدا ربما كانت قد أخطأت في تلقّي الرسالة كما هو شأنها أحياناً، فهي أجنبية ولم تكن في حالتها الطبيعية لأنها كانت راحلة عنا.

- وماذا فعلتِ يا آنسة هندرسون؟

- قفلت راجعة.

- إلى منزلك؟

- نعم، عُدت إلى منزلي بعد جولة قصيرة لأن الطقس كان جميلاً.

ومرّت فترة صمت قصيرة كان سبنس خلالها يتأمّل شفتيها كما لاحظ ذلك بوارو. وأخيراً نهض سبنس قائلاً: شكراً لكِ يا آنسة هندرسون، لقد أحسنتِ صُنعاً بمجيئك، شكراً.

وصافحها فقالت له: لقد رأيت أنه ينبغي لي أن أفعل هذا وإن كانت والدتي قد عارضتني في ذلك، ولكنني رأيت أن أعرض الأمر عليكم.

وبعد أن رافقها إلى الباب عاد إلى مقعده وراح ينقر بأصابعه على المكتب وينظر إلى بوارو ثم قال: لم أتبيّن عليها أحمر شفاه، أم تُراها لا تستعمله إلا في المساء؟

- لا، هي لا تستعمله مطلقاً.

- على خلاف المألوف في أيامنا هذه.

- هي فتاة غريبة الأطوار مختلفة إلى حدّ ما.

- كما أنها لا تستعمل العطور كما تبيّنتُ، وقد ورد بأقوال السيدة أوليفر شيء عن تلك الرائحة العطرية التي كانت تفوح في البهو، وأيّد روبين هذه الأقوال مؤكداً أنها ليست مما تستعمله والدته.

وتناقش الرجلان في وضع تلك الفتاة على أساس ما ورد في تقرير الطبيب الشرعي من أن الوفاة حدثت في نحو الساعة التاسعة والنصف، الأمر الذي يؤيّد أقوال الفتاة بالنسبة لموعد حضورها وانصرافها مع التسليم بأنها كانت صادقة في أقوالها.

وما إن بلغا من مناقشتهما هذه المرحلة حتى قال سبنس: فإذا ما استبعدنا ديردر هندرسون مؤقّتاً فتظلّ أمامنا في الصورة امرأة تستعمل أحمر الشفاه وعطراً فاخراً.

فعقّب بوارو بقوله: وهكذا سنقوم بالتحرّي و...

فقاطعه سبنس قائلاً: أنا أقوم فعلاً بتحرّياتي، وفي الوقت نفسه لا أريد أن تُفزِع تحرّياتي أحداً. ماذا كانت تفعل إيف كاربنتر في الليلة الماضية؟ وماذا كانت تفعل شيلا ريندیل هي الأخرى؟ إن إيف قادرة على شراء مثل تلك العطور الباهظة الثمن، ويجب علينا أن نقتفي آثار ماضيها بكل عناية ودقة. ثم تلك المطرقة التي بعثتَ أنت بها إلينا على أساس أنها الأداة المستعملة في قتل السيدة ماغنتي، وقد أيّد الطبيب الشرعي هذا الرأي كما اتضح من الفحص أن آثار البقع التي على حافّتها هي لدماء بشرية فعلاً على الرغم من محاولة إزالتها، وهذا يعود بنا إلى تلك الصلة بين تلك المطرقة وبين السيدة ويذربي والآنسة هندرسون، أليس كذلك؟

– لقد كانت ديردر هندرسون واثقة من أن المطرقة استُبدلَت في عيد الحصاد.

– والسيدة سمرهايز كانت واثقة من ناحيتها من أن تلك العملية تمت في عيد الميلاد.

– السيدة سمرهايز لا تستطيع أن تجزم بشيء، هذه هي طبيعة تكوينها. وبوسعي بحكم إقامتي في لونغ ميدوز أن أجزم بأنه يمكن لأيّ إنسان أن يدخل منزل آل سمرهايز ويلتقط ما يشاء ثم يعود ليضعه حيث كان دون أن يشعر بذلك أيّ من السيدة سمرهايز أو الميجور سمرهايز؛ ففي ذلك المنزل تتمثّل الفوضى بأجلى معانيها.

– لديّ نبأ قد يخفّف من وقع ما نحن فيه من توتّر، الحكم لن ينفّذ في جيمس بنتلي قبل أن ينجلي الموقف تماماً، وكان

هذا بناءً على طلب تقدّمنا به لوزير الداخلية الذي وافق على التأجيل.

- أرى أنه يحسُن بي أن أقوم بزيارة أخرى لبنتلي بعد أن تجمّعَت لدينا بعض المعلومات.

* * *

لم يطرأ على حالة جيمس بنتلي تغيير جدير بالذكر، فقد كان كالعهد به الرجل الهادئ اليائس. والتزم بوارو في حديثه معه جانب الحذر وقال له فيما قال إن ثمة أدلّة جديدة وإن الشرطة أعادت التحقيق والتحرّي في القضية وإن من شأن هذا كلّه أن يجدّد الأمل، غير أن جيمس بنتلي لم يحرّك ساكناً، بل عقّب بقوله: لا جدوى من كل هذا.

- أصدقاؤك يجدّون في مسعاهم.

- أصدقائي؟! ليس لي أصدقاء.

- لا تقُل ذلك؛ فلك صديقان على الأقل.

- صديقان؟! بودّي لو عرفت من هما.

وكانت نبرات صوته تنمّ عن عدم التصديق أكثر مما تنمّ عن رغبته في التعرّف على الصديقين. وأجابه بوارو: أوّلهما مفتش الشرطة سبنس.

- سبنس، مفتش الشرطة الذي عمل في القضية ضدّي؟ يا لسخرية القدر!

- بل هذا من حُسن حظك؛ فهو ضابط شرطة كفء

ذكيّ يقظ الضمير، وهو حريص على ألاّ يجانبه الصواب في عمله.

- لقد كان واثقاً من اتهامي.

- لا، هو لم يكن مقتنعاً في قرارة نفسه على الرغم من جميع الظروف والملابسات التي كانت ضدّك، وهذا هو ما حدا بي إلى القول بأنه صديقك، صديقك الذي يبذل أقصى ما في وسعه لمصلحتك.

وبعد فترة صمت أطرق جيمس بنتلي خلالها قليلاً ثم قال متسائلاً: ومَن عساه أن يكون الصديق الثاني؟

- مود ويليامز.

ولم يبدُ على بنتلي ما ينبئ عن أن سماعه للاسم كان له وقع في نفسه.

- مود ويليامز؟ من عساها تكون؟

- كانت تعمل في مكتب بريذر وسكاتل.

- أجل، تذكرتُ، السيدة ويليامز. ماذا تريد أن تقول عنها؟

وكانت ثمة لحظات شعر فيها هيركيول بوارو بالحنق على جيمس بنتلي، وودّ لو اقتنع بأنه هو القاتل الحقيقي للسيدة ماغنتي فيدَعه لمصيره المحتوم، غير أنه كان كلّما ازداد ضيقاً ببنتلي ازداد اقتناعاً بوجهة نظر المفتش سبنس من أنه ليس بالرجل الذي يمكن أن يكون قاتلاً بحال ما، وسيطر بوارو على أعصابه وأجاب: أريدك أن تعلم أن الآنسة ويليامز تهتمّ بهذه

القضية إلى أقصى حدّ، وهي مقتنعة تمام الاقتناع ببراءتك.

- وأنّى لها هذا الاقتناع؟

- لأنها تعرف من أنت.

- لا أظن أن معرفتها بي تبلغ هذا الحدّ!

- ألم تكونا تعملان معاً؟ ألم تتناولا معاً أي وجبات؟

- بلى، مرة أو مرتين في مقهى بلو كات.

- ألم يحدث أنكما قُمتما بنزهة معاً؟

- مرة واحدة.

فضاق بوارو ذرعاً به وانفجر قائلاً: أتراني أحاول أن أنتزع منك اعترافاً بجريمة ارتكبتها؟! وهل في صُحبة فتاة شابة ما يُستغرَب؟ أليس هذا هو شأن جميع الشبّان ممن هم في مثل سنّك؟

- ليست لي معرفة بفتيات كثيرات.

- أنت تعرف الآنسة ويليامز وعملتَ معها وتحدّثت إليها وتناولت معها بعض الوجبات وتنزّهتما مرة أو مرتين، ثم إذا تحدّثتُ إليك عنها لا تذكر حتى اسمها!

فأطرق جيمس بنتلي خجلاً وقال معقّباً: لم يكن لي علاقات بالفتيات بصفة عامّة، وعلى الرغم من رفقها ووداعتها لم أكن أستطيع أن أُبعِد عن خاطري رأي والدتي في مثل تلك الفتيات.

- المهمّ هو رأيك أنت.

- هل لمست من الآنسة ويليامز عطفها عليّ؟ لقد كانت فعلاً رقيقة معي، ولكنها لم تفهمني. لقد تُوفّيَت والدتها وهي طفلة.

- نعم، ثم كان -فيما علمتُ- أن فُصلتَ من عملك والتقت بك الآنسة ويليامز فيما بعد في برودهيني.

- أجل، أجل. كانت قادمة في عمل وبعثَت إليّ ببطاقة بريد تحيطني علْماً بذلك وتسألني لقاءً، وقد عجبتُ لهذا؛ إذ لم تكن معرفتي بها وثيقة.

- ولكنكما التقيتما؟

- أجل، ولم أُرِد أن أكون فظّاً، وكان اللقاء بمحطّة الحافلات. ولا تنسَ أنَي كنت خالي الوفاض.

- بكل تأكيد. هل كان ذلك قبل مقتل السيدة ماغنتي ببضعة أيام؟

وأومأ جيمس بنتلي برأسه علامة الإيجاب ثم قال بغتة: أجل، كان اللقاء يوم الإثنين وكان الحادث يوم الأربعاء.

- أريد أن أسألك عن شيء آخر يا سيد بنتلي، هل كانت السيدة ماغنتي تواصل قراءة صن داي كوميت؟

- نعم.

- وهل كنت تطّلع عليها؟

- كانت تقدّمها إليّ أحياناً، غير أني كنت أرفض ذلك. لم تكن والدتي تُعنى بقراءة هذه الصحف.

- إذن فأنت لم تطّلع على صحيفة صن داي كوميت في ذلك الأسبوع. ألم تحدّثك السيدة ماغنتي بشيء عمّا ورد في تلك الصحيفة؟

- بلى، لقد حدّثتني بالكثير.

- حقاً؟! وماذا تراها حدّثتك به؟ أرجو أن تكون دقيقاً؛ فتحرّي الدّقة فيما تقول من الأهمية بمكان.

- لا أذكر ما قالته على وجه التحديد، وأذكر أن حديثها كان عن بعض قضايا القتل القديمة، قضية كريج فيما أظن، وقالت إن ثمة شخصاً يقيم في برودهيني له علاقة بتلك القضية.

- ألم تحدّثك بأمر ذلك الشخص؟

- أعتقد أنها قالت شيئاً عن تلك السيدة التي يعمل ابنها في كتابة القصص المسرحية.

- ألم تحدّد اسمها؟

- لا، في الواقع أنا لا أتذكر لطول العهد.

- حاول أن تتذكر ما دار بينكما من حديث. أنت تريد أن تستردّ حريتك، أليس كذلك؟

- حرّيّتي؟

- نعم، أن يُطلَق سراحك.

- سراحي أنا؟! نعم، هذا هو المفروض!

- إذن فلتستعِدْ في ذهنك كل ما قالته السيدة ماغنتي.

- فليكن. لقد قالت تلك السيدة المعتزّة المغرورة بنفسها إنها لن تكون كذلك إذا ما عُرف كل شيء عنها. أنت إذا نظرت إليها لا يمكن أن تعتقد أنها صاحبة الصورة، وهذا أمر طبيعي؛ فقد التُقطَت تلك الصورة منذ سنوات عديدة.

- وما الذي حدا بك إلى الاعتقاد بأن السيدة المعنية هي السيدة أبوارد؟

- في الحقيقة لست أدري، لقد كانت تتحدّث عن السيدة أبوارد حديثاً آخر ثم عرجت إلى الحديث عن موضوع الصور دون أن تذكر أسماء، ثم عادت للتحدّث في موضوعات أخرى لأنها كانت ثرثارة بطبعها، ومن هنا يمكن أن أؤكد لك (وقد بدأتُ أستعيد ما كان من حديثها على طول العهد به) أنها لم تكن تعني السيدة أبوارد بالذات، وأن ما قلته لك كان مجرّد استنتاج نابع من انطباع خاطئ.

ونهض بوارو قائلاً: وأنا لا أعتقد أن السيدة المعنية كانت السيدة أبوارد، وأعتقد أنها كانت تتحدّث عن سيدة أخرى، وأرى أنك مسؤول إلى أبعد حدّ عن تنفيذ حُكم الإعدام فيك إذا لم نوفَّق فيما نبذل من جهود، ومسؤول عن سطحيّتك وعدم متابعة ما يتحدّث الناس به إليك. ألم تتحدّث إليك السيدة ماغنتي عن المنازل التي كانت تعمل بها أو عن سيدات تلك المنازل؟

- بلى، أحياناً، غير أنه كانت لي مشاغلي الخاصة التي تصرفني عمّا عداها.

- سأعاونك على استعادة ما يمكن أن يكون عالقاً

بذهنك. ألم تتحدّث إليك السيدة ماغنتي عن السيدة كاربنتر أو السيدة ريناديل؟

- كاربنتر الذي يقتني سيارة كبيرة ويقيم في بيت جديد في الجبل، أليس كذلك؟ والذي كان خطيباً للسيدة سكيرك التي كانت السيدة ماغنتي تندّد بها دائماً بما لا أدرك له سبباً. وريناديل هو الطبيب، أليس كذلك؟ لست أذكر أنها تحدّثت عن أيٍّ من هؤلاء حديثاً له طابع خاص.

- وماذا عن ويذربي؟

- أذكر ما قالته عن هؤلاء. كانت تنعي على السيدة خُزعبلاتها وعلى السيّد صمته، وكانت تقول عنهم إنهم أسرة غير سعيدة.

وراح بوارو يتأمّل جيمس بنتلي الذي لمس منه تغيّر لهجته بما لم يعهده فيه من قبل، فقد أصبح جيمس بنتلي السلبي أكثر إيجابية وأمعن فكراً. وبادره بوارو قائلاً بصوت رقيق: هل كنت تعرف الأمّ أو الأب أو الابنة؟

- لا، لم يكن إلاّ موقف الكلب الذي وقع في فخّ ولم تتمكن الآنسة هندرسون من إنقاذه فكان أن عاونتها على إطلاق سراحه.

ومرة أخرى لمس بوارو في نبرات صوته شيئاً جديداً، وتذكر ما سبق أن حدّثته به السيدة أوليفر عمّا دار بينهما وبين ديردر هندرسون، فقال له بصوت هادئ خافت: وهل دار بينكما حديث ما؟

- نعم، لقد حدّثتني عن والدتها وعمّا تعانيه من زوجها. هي شديدة الحدب على والدتها.

- وقد حدثتها أنت عن والدتك، أليس كذلك؟

- بلى، فالحياة قاسية لا ترحم، وفيها من الناس مَن لا يعرفون من السعادة سوى اسمها، وأحسب أن الآنسة هندرسون لم يقدَّر لها أن تتذوّق للسعادة طعماً.

* * *

الفصل التاسع عشر

قالت السيدة سويتي مان: والآن أصغي إليّ.

وكانت إدنا تصغي إليها منذ فترة طويلة ولكن الحديث كان يدور في حلقة مفرغة، فالسيدة سويتي مان تقول نفس الشيء وأدنا تجيب بعبارتَين لا ثالث لهما، الأولى أنها لا تستطيع، والثانية أنها تخشى أن يقتلها أبوها. فقالت السيدة سويتي مان: ليكن ما يكون، فنحن أمام جريمة قتل وما شاهدتِه قد يغيّر مجرى التحقيق.

وتوقّفَت السيدة سويتي مان عن مواصلة حديثها لتقوم على خدمة السيدة ويذربي التي قدِمَت لتبتاع بعض الطوابع. قالت لها: نحن لم نحظَ بزيارتك منذ فترة طويلة يا سيدتي.

- لم أكن على ما يرام في الفترة الأخيرة بسبب علّة القلب، وكان عليّ أن أتجنّب كل إجهاد.

- لقد سمعت بالوصيفة الجديدة، أرجو أن تجدي فيها بُغيَتك.

- أجل، هي لا بأس بها في الخدمة، ولكن ذلك الشعر الملوّن وذلك المظهر...!

- ثمة بون شاسع بين خادمات الأمس وخادمات اليوم، وهذا هو شأن الفتيات جميعاً، وإليك إدنا مثلاً، فهي المثل الحيّ للفتاة العصرية.

ثم استطردت السيدة سويتي مان قائلة: لقد كان حادث مقتل السيدة أبوارد حادثاً مروّعاً، أليس كذلك؟

- هو حادث بَشِع! وقد حاولوا أن يكتموا النبأ عنّي، وما إن علمتُ به حتى ازدادت ضربات قلبي.

- لقد كانت صدمة لنا جميعاً، أمّا السيد روبين أبوارد فلم يُطِق الحياة في المنزل وانتقل إلى لونغ ميدوز للإقامة هناك، وقد ذهبت الوصيفة جانيت غروم للإقامة مع ابنة أخيها، وتسلّمت الشرطة مفتاح البيت. أمّا السيدة الكاتبة القصصية فقد عادت أدراجها إلى لندن، ولكنها ستعود لحضور جلسة التحقيق.

وكانت السيدة سويتي مان مسترسلة في حديثها منطلقة بمعلوماتها التي تعتزّ بها وتزهو، فعقّبَت السيدة ويذربي على ما سمعته بقولها: هذه أحداث مزعجة حقاً! ولا بدّ أن بهذه البلدة سفّاحاً مجنوناً. يجب أن توضع هذه القرية تحت حراسة مشدّدة وأن يُفرَض فيها حظر المرور ليلاً مع إحكام إغلاق أبوابها ونوافذها إلى أن تستقرّ الأمور ويستتبّ الأمن ويتمّ اعتقال ذلك المجرم المجنون.

وغادرت السيدة ويذربي مكتب البريد وهي تهزّ رأسها أسىً، واستأنفَت السيد سويتي مان وأدنا مناقشتهما فقالت الأولى: إدنا، يجب أن تعدلي عن موقفك هذا؛ فالحقّ هو

الحقّ والباطل هو الباطل، والحقّ أحقّ أن يُتّبَع. صرِّحي بما لديك وليكن ما يكون.

- أنت تعرفين ما سيفعله والدي بي، تعرفين هذا جيداً.

- سأتحدّث إلى والدك في هذا الموضوع.

- أنا لا أستطيع، لا أستطيع!

- لقد قُتلَت السيدة، وقد رأيتِ شيئاً تجهل أمره الشرطة، ولا تنسَي أنك موظّفة بمكتب البريد، أنت موظفة حكومية وعليك أن تقومي بواجبك وأن تذهبي إلى برت هايلنغ.

- لا، لن أذهب إلى برت، لا أستطيع؛ فالبلدة ستعرف ذلك!

- إذن فإلى ذلك السيد الأجنبي.

- لا، لن أتّصل بأجنبي، لا أستطيع!

- ربما كنتِ في ذلك على حقّ.

وحينئذٍ توقّفت سيارة أمام مكتب البريد وأشرق وجه السيدة سويتي مان وهي تقول: ها هو الميجور سمرهايز، عليك أن تُفضي إليه بكل شيء ليبصّرك بما يجب أن تفعلي.

- ولا هو، هذا لا يمكن!

ودخل جوني سمرهايز إلى مكتب البريد ومعه ثلاثة طرود وضعها أمام السيدة سويتي مان قائلاً: طاب صباحك، أرجو ألاّ تتجاوز هذه الطرود الوزن المحدّد.

وانصرفت السيدة سويتي مان إلى عملها بما عُرف عنها من ثقة، ثم ابتدرت سمرهايز بقولها: معذرة يا سيّدي، أريد أن أستشيرك في أمر.

- بكل سرور، كلّي آذان صاغية.

- هو بشأن إدنا، هذه.

ونظر جوني سمرهايز إلى إدنا بارتياب وقال أخيراً: حسناً، ما المشكلة؟

- الأمر يتّصل بحادث القتل يا سيدي، لقد وقع نظر إدنا على شيء ما ليلة الجريمة.

فحملق جوني سمرهايز في كل من السيدة سويتي مان وإدنا قائلاً: إدنا، ماذا شاهدت؟

وانخرطَت إدنا في النحيب فتولّت السيدة سويتي مان الإجابة عنها قائلة: لقد سمعنا بالكثير من هنا وهناك، ومن هذا ما هو حقّ ومنه ما هو مجرّد أقاويل، غير أن ما اتفق الناس عليه هو أنه كانت هناك سيدة في تلك الليلة تناولت كوباً من القهوة مع السيدة أبوارد، أليس كذلك يا سيدي؟

- بلى، هذا ما سمعت به.

- لقد سمعتُ بذلك من برت هايلنغ.

كان ألبرت هذا هو رئيس نقطة الشرطة المحلّية الذي يعرفه سمرهايز خير المعرفة. واستطردت السيدة سويتي مان قائلة: ولكنهم لا يعرفون مَن تكون تلك السيدة؟ لقد رأتها إدنا.

والتفت سمرهايز إلى إدنا متسائلاً: هل رأيتِها في أثناء دخولها أم في أثناء خروجها؟

فقالت إدنا: في أثناء دخولها، كنتُ واقفة تحت الأشجار عبر الطريق وكنت مستترة بالظلام، وقد رأيتها وهي تخطو عبر الباب الخارجي ثم إلى الباب الأمامي حيث توقّفت قليلاً ثم دخلَت.

فقال الميجور: تلك السيدة كانت الآنسة هندرسون، والشرطة تعرف كل شيء عن تلك الزيارة. لقد توجّهَت بنفسها إلى الشرطة لتحيطهم علماً بذلك.

- ولكنها لم تكن الآنسة هندرسون.

- لم تكن الآنسة هندرسون؟! إذن فمن كانت؟!

- لست أدري لأنني لم أرَ وجهها، لقد كانت مُولِية ظَهرها إليّ ولكنها لم تكن الآنسة هندرسون.

- وكيف جزمتِ بأنها لم تكن الآنسة هندرسون في حين لم يتيسّر لك رؤية وجهها؟

- لأن شعرها كان أشقر، وشعر الآنسة هندرسون أسود.

- ولكن الظلام كان دامساً ولا يتسنّى لك هذا التمييز بين الألوان.

- ولكنني على الرغم من ذلك تمكنت من هذا التمييز بفضل ضوء مصباح فوق الباب الأمامي كانت تقف أسفله مباشرة، وكانت ترتدي معطفاً أسود دون قبّعة وكان شعرها

الذهبي واضحاً تماماً.

- ومتى كان ذلك؟

- لا أدري على وجه التحديد.

- ليكن على وجه التقريب.

- كان ذلك فيما بين الثامنة والنصف والتاسعة.

- وكم انقضى من الوقت وهي واقفة؟

- لا أدري يا سيدي؛ فأنا لم أسمع شيئاً.

- ليس أمامك الآن سوى إبلاغ الشرطة بذلك.

وعادت إدنا تنتحب قائلة: والدي لن يغفر لي هذا!

ونظرت إلى السيدة سويتي مان ضارعة ثم هرعت إلى الغرفة الخلفية، وواصلت السيدة سويتي مان الحديث مجيبة على نظرة الرجل المستفسرة فقالت: هذا هو شأنها يا سيدي منذ أن روَت لي قصّتها. إن والدها فعلاً رجل صارم جادّ، وهي تخشى غضبه إذا ما عرف سبب خروجها في تلك الساعة المتأخّرة من الليل. لقد كانت على موعد مع ماسترز للذهاب إلى دار العرض في كولافون، وإن كانت قد كذبت على والدها وقالت إنها على موعد مع ريغ، وذلك لأن والدها يعترض على الأوّل لأنه رجل متزوّج وله طفلان، وهذا هو السبب في انتظارها بين ظلال الأشجار. وليس من شك في أن التحقيق ومناقشتها في سبب تواجدها في ذلك المكان سيفضح سرّها الذي تحرص على كتمانه عن والدها على الأقل.

- ومن هنا كان إحجامها عن إخطار الشرطة؟

- نعم يا سيدي.

- ولكنك تدركين أنه يجب عليها إبلاغ الشرطة.

- وهذا هو رأيي.

- وأعتقد أن الشرطة سوف تراعي جميع الظروف والملابسات، وقد لا يستدعي الأمر أن تؤخذ أقوالها رسمياً، وتحتفظ الشرطة بما تدلي به من معلومات سرّاً تتابع تحرّياتها على ضوئه، ويمكن أن أتصل بالمفتش سبنس وأصطحب إدنا معي في سيارتي إلى كليشستر للقائه في مركز الشرطة فلا يعرف أحد شيئاً عن اتصالها بالشرطة.

وهكذا اتصل جوني سمرهايز بالشرطة واصطحب معه إدنا الصغيرة بعد تشجيع السيدة سويتي مان لها، وانطلقت بهما السيارة في طريقها إلى كليشستر.

* * *

الفصل العشرون

جلس بوارو على مقعد بمكتب المفتش سبنس في كليشستر وأغمض عينيه وعقد إصبعه واستغرق في تأمّلاته، وبعد أن فرغ المفتش مما بين يديه من تقارير وأصدر أوامره إلى مرؤوسيه نظر إلى الرجل الجالس في مواجهته قائلاً: أهي موجة من شرود الذهن؟

- أنا أمعن الفكر وأستعيد بعض الوقائع.

وصمت قليلاً ثم قال: لماذا يحتفظ الناس بالصور الفوتوغرافية؟

- ربما لمجرّد الذكرى.

- تماماً، لتذكرهم بشيء ما. إن المرأة التي تحتفظ بصورة من عهد الصبا تفعل ذلك بدافع من الغرور والزهو، وهي تريد أن تحتفظ بسجلّ جمالها الماضي حينما كانت فتاة في مقتبل العمر.

- أجل، هذا هو التحليل الصحيح لتلك العقلية.

- ومنهن مَن تحتفظ بصورة لعزيز لديها، كصورة لابنة متزوّجة حينما كانت صبيّة لم تشبّ عن الطوق بعد، إلى آخر

تلك الذكريات. وثمة من الأبناء والبنات من يحتفظ بصورة الأمّهات ممن رحلن عن الدنيا، وذلك لمجرّد الاعتزاز بها والرجوع إليها من حين لآخر، وقد تعجَب إذا قلت إن هناك دافعاً آخر للاحتفاظ بمثل تلك الصوَر، ألا وهو دافع الحقد والكراهية. أجل، الحقد والكراهية؛ وذلك للإبقاء على جذوة الرغبة في الانتقام مشتعلة لا يخمد لها أوار، ومن هنا تكون الصورة أداة تذكير بما نال المحتفظ بها من أذى.

- وهل ينطبق هذا على قضيتنا هذه؟

- أصغ إليّ، تأمّل صورة جامبول الفوتوغرافية. هي ليست بالفتاة الجميلة، بل هي أقرب إلى القُبح منها إلى الجمال، وليست هناك امرأة يمكن أن تحتفظ بمثل هذه الصورة الدميمة على سبيل الذكرى، ولئن كانت هذه الصورة لأيٍّ من إيف كاربنتر أو شيلا ريناديل الجميلتين لما احتفظتا بها.

- أنا أتابع بإمعان تسلسُل منطقك.

- فإذا ما فرغنا من استبعاد احتمال الاحتفاظ بالصورة بدافع الغرور انتقلنا إلى الاحتمال الآخر، الاحتمال العاطفي. من ذا الذي كان يحبّ ليلي جامبول في تلك السنّ؟ إن مشكلة ليلي جامبول أنها لم تكن محبوبة من أحد. لقد قُتلَت عمّتها الوحيدة التي كانت تحدب عليها، وهكذا نستبعد الاحتمال الثاني ولا يبقى سوى دافع الحقد والكراهية، ولكن من المستبعد أن يكون هناك من يرغب في الانتقام من تلك الطفلة البائسة التي كان الجميع يشفقون عليها.

- سيد بوارو، هل تريد أن تقول إنه لا يوجد من يمكن

أن يحتفظ بصورة ليلي جامبول لأيٍّ من هذه الاعتبارات؟

- تماماً، وهذا ما استخلصته من تأمّلاتي.

- ولكن الواقع بخلاف هذا؛ لأن السيدة أبوارد قد رأت هذه الصورة وعرفتها، وأنت نفسك قلت لي هذا بناءً على ما قالته لك.

- أجل، غير أنك يجب أن تعرف أن السيدة أبوارد كانت امرأة عميقة الغور وكان لها أسلوبها الخاص في معالجة الأمور. لقد بدا أنها تعرّفَت على إحدى هذه الصور بمجرّد عرضها عليها غير أنها لسبب ما كانت تريد أن تحتفظ بالسرّ لنفسها، ولما كانت سريعة الخاطر فقد أسرعَت وأومأت إلى صورة غير الصورة المعنيّة.

- وماذا كانت تبغي من ذلك؟ ابتزاز المال بالتهديد؟ لقد كانت سيدة فاحشة الثراء في غنىً عن مثل هذا.

- لا، لم تكن تبغي الابتزاز؛ فقد كان زوجها من كبار أصحاب المصانع، بل أرجّح أن هدفها كان نبيلاً، فربما كانت تحبّ السيدة المعنيّة ولم تشأ أن تفشي سرّها، ومع ذلك فقد استبدّ بها الفضول واعتزمت أن تتحدّث إليها حديثاً خاصّاً على انفراد.

- أفهم من حديثك هذا أنك تستبعد صورة ليلي جامبول لتحلّ محلّها الصور الثلاث الأخرى؟

- هذا ما كنت أستهدفه على وجه التحديد. لقد اعتزمَت السيدة أبوارد أن تتصل بصاحبة الصورة في أوّل فرصة سانحة،

وقد سنحت لها تلك الفرصة حينما توجّه ابنها والسيدة أوليفر إلى المسرح في كولينكاي.

- فعمدت إلى الاتصال هاتفياً بديردر هندرسون، ومن هنا نعود إلى التركيز على ديردر هندرسون وعلى والدتها! أنت تزيد الأمور تعقيداً!

ونظر المفتش سبنس بأسىً إلى بوارو.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

استأجر بوارو سيارة في عودته إلى برودهيني، وكان متعَباً لكثرة ما استغرق في التفكير وضاعف من تعبه إحساسه بالفشل والعجز عن وضع النقاط فوق الحروف، فجميع الخطوط أصبحت واضحة أمامه ولكنه لا يستطيع أن يوفّق بينها ويُخرِج منها رسماً مكتملاً.

وبعد ابتعاده عن كليشستر بقليل التقى بسيارة آل سمرهايز قادمة في الاتجاه المضادّ، وكان جوني هو الذي يتولى قيادتها وإلى جانبه شخص ما لم يتبيّن بوارو من يكون لأنه كان مستغرقاً في تأمّلاته. وبمجرّد عودته إلى لونغ ميدوز دخل غرفة الاستقبال حيث اتخذ له مقعداً، وسمع في مجلسه دقّات الآلة الكاتبة في الطابق الأعلى، فكان روبين أبوارد ماضياً في كتابة مسرحية جديدة، وكان قد حدّث بوارو بأنه يجد عناء كبيراً في التركيز، وقد قاله له فيما قال: إن أمّي لم تكن تريد منّي سوى أن أمضي قُدُماً في عملي.

ولم ينكر بوارو هذا على السيدة أبوارد التي كانت تؤمن بكفاءة روبين في عمله وتُفاخِر به إلى حدّ بعيد. واسترخى بوارو في مقعده مغمضاً عينيه، وراح يستعرض صورة السيدة

أبوارد وجميع الظروف المحيطة بها وبمسلكها الأخير، ثم أيقظه من تأمّلاته صوت سمرهايز المفاجئ وهي تقول: لست أدري ما بجوني! لقد توجّه إلى مكتب البريد بثلاثة طرود وكان ينبغي أن يعود منذ ساعات! كما أنني لا أستطيع أن أعثر على استمارات وزارة الزراعة!

واتجهت إلى المكتب تفتح أدراجه بحثاً عمّا تريد وتُلقي بمحتوياتها على الأرض، وأخيراً أطلقت صيحة فوز تدلّ على أنها وُفّقَت في الاهتداء إلى ما تبحث عنه. وحاول هيركيول بوارو أن يسترسل في تأمّلاته وأن يستأنف ترتيبها وتنظيمها غير أنه سرعان ما قطب جبينه لأنه شعر بأن تلك الفوضى من حوله تُشتّت ذهنه، فحاول أن يولي ظهره إلى السيدة سمرهايز في أثناء بحثها عن الأوراق المفقودة كي لا يتأثّر بتلك الفوضى التي لا تتّفق مع ما يجب أن يحيط به نفسه من هدوء ونظام إلا أنه لم يوفّق إلى جمع شتات ذهنه. وأخيراً نهض يحاول أن يعيد كل شيء إلى مكانه، وفي أثناء ذلك دقّ جرس الهاتف على غير انتظار، فرفع السمّاعة وكان المتحدّث هو المفتش سبنس. كان يقول: بوارو، لقد كنت أريد الاتصال بك.

وكان صوت سبنس على غير ما ألِفَه منه، صوت رجل استبدّ به القلق، ثم قال: لقد وقعنا على أدلّة جديدة، تلك الفتاة التي تعمل بمكتب البريد، لقد قدِمَت برفقة الميجور سمرهايز وعلمنا منها أنها كانت تقف أمام البيت في تلك الليلة وشاهدَت امرأة تقترب منه، وذلك فيما بين الثامنة والنصف والتاسعة، ولم تكن ديردر هندرسون بل كانت امرأة شقراء الشعر، وهذا يعود بنا إلى ما كنا فيه من انحصار الشبهة بين

كل من إيف كاربنتر وشيلا ريندیل، ولم يعُدْ أمامنا سوى البتّ برأي فيمن تكون الزائرة.

وكان بوارو بسبيل أن يعقّب بما يرى ولكنه آثر ألاّ يفعل توخّياً للحذر، فأعاد السمّاعة إلى مكانها ووقف شارد الذهن زائغ النظر، وعاد رنين الهاتف.

- هل يمكن أن أتحدّث إلى السيد بوارو؟

- هيركيول بوارو هو المتحدّث، مَن؟

- مود ويليامز، مكتب البريد بعد ربع الساعة.

- سأوافيكِ هناك.

وأسرع بوارو بمغادرة المنزل، وفي الطريق استوقفه أحد رجال المفتش سبنس ويُدْعى فليتشر، وكان قد غادر فعلاً لابورتمز لتوّه، وبعد أن ردّ بوارو تحية فليتشر قال الشرطي: لقد أوفدني الرئيس لإلقاء نظرة؛ فمن المحتمل أن نكون قد أغفلنا شيئاً عند تفتيش بيت السيدة أبوارد، وكان المفتش يعتقد أن ثمة درَجاً سرّياً، وبحثت فلم أعثُر على درَج سرّي، ولكنني بعد أن بحثتُ بين طيّات الكتب...

فقاطعه بوارو قائلاً: ماذا حدث، أسرع؟

- لم أجد رسالة أو شيئاً من هذا القبيل وإنما وجدت شيئاً مشوّقاً، تأمّل هذا.

وفضّ صحيفة يومية ليكشف عن كتاب قديم قائلاً: لقد عثرت عليه فوق أحد الأرفف، كتاب قديم صدر منذ أعوام، ولكن تأمّل ما تحت غلافه الداخلي "إيفيلين هوب"، هو

الاسم الذي...

- الاسم الذي اتخذَته إيفا كانْ حين رحلَت عن إنكلترا.

- وكأن السيدة ماغنتي حينما تعرّفت على إحدى هذه الصور الفوتوغرافية قد أدركت أنها للسيدة أبوارد. هذا من شأنه أن يزيد الأمور تعقيداً، أليس كذلك؟

- بلى، وأؤكد لك أنك حينما تذهب بهذه المعلومات الجديدة إلى رئيسك فسوف يفاجأ بها إلى درجة أن يقتلع شعره من جذوره.

- أرجو ألا تبلُغ به المباغتة هذا الحدّ!

ولم يعقّب بوارو بشيء ومضى في طريقه قُدُماً، ورأى أنه يحسُن به أن يُقلِع عن التفكير في شيء لأن الأمور تزداد تعقيداً. وخطا إلى مكتب البريد ليجد مود ويليامز في انتظاره.

* * *

وبادر بوارو الآنسة مود قائلاً: هل لديك ما أردتِ أن تحيطيني به علماً؟

- نعم، لقد كان هناك مَن يحاول أن يدخل إلى غرفة السيدة ويذربي عن طريق النافذة.

- ومتى كان ذلك؟

- صباح اليوم، وكانت قد غادرت المنزل كما خرجت ابنتها مع كلبها، أمّا الزوج فكان في مكتبه كالعادة، وكنت

أنا في المطبخ.

- أجل، أجل، واصلي حديثك.

- فتسلّلتُ إلى الطابق الأعلى حيث توجد غرفة نومها، ورأيت سُلّماً خشبياً مستناً إلى النافذة ورأيت رجلاً يحاول أن يعبث بمزلاج النافذة، فقد كانت السيدة تحرص على إحكام غلق نوافذها بعد حادث القتل الأخير. وما إن وقع نظر الرجل عليّ حتى أسرع بالهبوط وأطلق لساقيه العنان، وكان السُّلّم هو سُلّم البستاني.

- من عساه أن يكون ذلك الرجل؟ وما أوصافه؟

- لم أستطع أن أتبيّن وجهه لأن قرص الشمس كان في مواجهتي.

- وهل أنت واثقة من أنه كان رجلاً؟

- كان في ملابس الرجال ويضع فوق رأسه قبّعة من الفلّين، ولا أستبعد أن يكون امرأة.

- هذه معلومات جدّ مشوقة! هل من شيء آخر؟

- لا؛ فلم يتسنّ لي بعدُ أن أفتّش أدراجها لأنها عجّلت بالعودة وعنّفتني للعبث بأدراجها. إنها تثير أعصابي إلى أبعد حدّ، إنها امرأة كريهة!

فتمتم بوارو قائلاً: إيفيلن هوب.

- ماذا تقول؟

وكان في نظراتها ما ينبئ بأن هذا الاسم كان له وقع

لديها، فقال لها: هل تعرفين هذا الاسم؟

- نعم، هذا هو الاسم الذي اتخذته إيفا كانْ لنفسها عند رحيلها إلى أستراليا. لقد ورد هذا الاسم بصحيفة صنداي كوميت.

- لقد ورد الكثير بالصنداي كوميت ولكن لم يرد بها هذا الاسم. لقد عثرَت الشرطة على هذا الاسم مدوّناً في كتاب بمنزل السيدة أبوارد.

- إذن فقد كانت هي، ولم تمُتْ هناك! لقد كان مايكل على حق!

- مايكل؟!

- لا يمكنني أن أتخلّف عن ساعة الغداء.

وانطلقَت تركض، فوقف بوارو ينظر إليها وهي تبتعد عنه وقد أدهشه انصرافها الفجائي.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

قدِمَت إيف كاربنتر إلى منزل آل سمرهايز كما يفعل سائر الناس، وكانت تبحث عن هيركيول بوارو، وما إن وجدته أمامها حتى بادرته قائلة: أنتَ شرطي سرّي ذائع الصيت مشهود لك بالكفاءة والقُدرة، وأنا أريد أن أعهد إليك بعمل ما.

- ربما كنت راغباً عن ذلك.

- أنتم تتقاضون أجركم، أليس كذلك؟

- هكذا يقولون!

- سأدفع لك ما تريد.

- وما المقابل؟

- أن تحميني من الشرطة، فهُم قوم معتوهون ويبدو أنهم يعتقدون أنني قتلتُ السيدة أبوارد! هم يحومون حولي ويضيّقون عليّ الخناق، وأعمالهم هذه تكاد أن تذهب بعقلي!

فنظر إليها بوارو قائلاً في نفسه إن بعض ما تقول حقّ.

كانت تلك السيدة تبدو أكبر سنّاً عن ذي قبل، فقد تكوّنت دوائر الظلال التي تحيط بعينيها بسبب تلك الليالي المتواصلة من الأرق والسهد، وكانت يدها تهتزّ بعصبية وهي تشعل لفافتها، وقالت بانفعال: يجب أن تُوقِف هذا، يجب!

- سيدتي، ماذا في وسعي أن أفعل؟

- أبعِدهم عني بوسيلة أو بأخرى!

- ألا يستطيع زوجك أن يفعل شيئاً؟

- لم أحدّثه في الأمر؛ فهو يتحدّث بأسلوبه المتعالي عن ضرورة تزويد الشرطة بكل معونة ممكنة وكان يحضر اجتماعاً سياسياً في ليلة الحادث.

- وماذا عنكِ؟

- كنت بالمنزل أستمع إلى الإذاعة.

- هل تستطيعين إثبات ذلك؟

- أنّى لي إثبات ذلك؟! لقد عرضتُ على خادمنا كروفت مبلغاً خيالياً ليقول إنه رآني ملازمة الدار، وقد رفض اللعين!

- لقد كان هذا تصرّفاً خاطئاً منك.

- لماذا؟ أما كان من شأن هذا أن يضع حدّاً للأمر؟

- لعلّك بعملك هذا قد أقنعتِ خادمك بأن لك ضلعاً في الجريمة.

- لقد دفعتُ لكروفت من أجل...

- من أجل ماذا؟

- لا شيء.

- حاولي ألاّ تنسَي أنك تنشدين مساعدتي.

- كان كروفت هو الذي تلقّى الرسالة منها.

- مِن السيدة أبوارد؟

- نعم، وذلك حينما اتصلَت بي تسألني أن أزورها في تلك الليلة.

- وتقولين إنك لم تذهبي؟

- وما الذي كان يضطرّني إلى زيارة تلك المرأة العجوز المتهالكة؟ لم يدُر بخلدي أن ألبّي دعوتها على الإطلاق.

- متى وصلت إليك تلك الرسالة؟

- حينما كنت بالخارج، ولا أدري متى على وجه التحديد، فيما بين الخامسة والسادسة فيما أعتقد، وكان كروفت هو الذي تلقّى المكالمة.

- ونفحتِه مبلغاً من المال كي لا يتحدّث عن تلقّيه الرسالة، لماذا؟

- لأنني لم أكن أريد أن يزجّ باسمي في التحقيق.

- ثم تعرِضين عليه مبلغاً آخر ليكون شاهد نفي! ألم يدُر بخلدك ماذا يتبادر إلى ذهنه هو وزوجته نتيجة لعرضك هذا؟

- وماذا يعنيني من أمرهما؟

- قد يعني هيئة المحلّفين.

فحملقَت فيه بعينيها قائلة: هل أنت جادّ فيما تقول؟!

- كل الجدّ.

- أيصدّقون الخدم ولا يصدّقونني؟!

فنظر بوارو إليها وإلى ذلك المثل الحيّ لقِصَر النظر وعدم تقدير الأمور، ثم انبرى يقول لها بصوت هادئ: سيدتي، لماذا لا تستعملين النظّارات الطبّية؟ أنت بحاجة إليها.

- أنا أستعملها أحياناً، وكنت أستعملها في طفولتي.

- وكانت أسنانك...

فحملقَت إليه متسائلة: فيمَ كل هذه الأسئلة؟!

- لقد أصبح فرخ البطّ القبيح بَجَعة جميلة!

- أجل، لقد كنتُ فعلاً قبيحة.

- وهل كانت أمّك ترى فيك هذا؟

- لست أذكر شيئاً عن أمّي. ما هذا الذي تتحدّث عنه؟! هل تقبل ما عرضته عليك؟

- أعتذر لعدم استطاعتي ذلك.

- ولماذا لا تستطيع قبول عرضي؟

- لأنني أعمل في هذه القضية لحساب جيمس بنتلي.

- جيمس بنتلي؟! نعم، ذلك الرجل المعتوه الذي قَتل

الخادم العجوز. وما عَلاقته بآل أبوارد؟

- ربما توجد علاقة.

- حسناً، هل هي مسألة نقود؟ كم تريد؟

- هذا هو عيبك يا سيدتي، فتفكيرك كلّه ينتهي إلى المسائل المادّية، ولديك الكثير من المال وتعتقدين أن المال هو كل شيء.

- لم يكن المال دائماً في متناول يدي.

- هذا هو بيت القصيد، وهذه الحقيقة توضّح لي الكثير.

* * *

عادت إيف كاربنتر من حيث أتت وهي شاردة الذهن، وردّد بوارو فيما بينه وبين نفسه بهدوء: إيفيلين هوب! وهكذا اتصلت السيدة أبوارد قبل موتها بكل من ديردر هندرسون وإيفيلين كاربنتر، ومَن يدري؟ لعلها اتصلت بغيرهما، ربما!

وأقبلت مورين مندفعة كعادتها قائلة: هو المقصّ في هذه المرّة، آسفة لتأخّر طعام الغداء. لديّ ثلاثة مقصّات ولا أستطيع أن أجد واحداً منها!

واتجهت إلى المكتب تُعيد مأساة تقليبه رأساً على عقب، وإن كانت تلك المرة قد عثرت على ما تبحث عنه بأسرع مما حدث في المرة السابقة، وعادت مورين إلى مغادرة الغرفة وهي سعيدة بما ظفرَت به، فنهض بوارو يعيد الأشياء

المبعثرة إلى مكانها، وكان من بين تلك الأشياء بعض الصور الفوتوغرافية. والتقط إحداها وراح يتأمّلها بإمعان، وسمع وقع أقدام في الدهليز فأسرع بإسقاط الصورة فوق الأريكة ووضع وسادة فوقها ثم جلس فوقها بحركة سريعة لا تتّفق مع سنّه، ومع الحركة الأخيرة كانت مورين عند الباب عائدة تبحث عن وعاء به بعض الخضر، فأومأ بوارو من مكانه إلى الوعاء فالتقطته ناعية على نفسها شرود ذهنها. وبعد أن هدأ روعها استلفتَ نظرها جِلسة بوارو فوق الوسادة، فقالت له: ما الذي يضطرّك إلى الجلوس فوق الأريكة هكذا؟! هي مقعد غير مريح!

- أجل، ولكنني... مُعجَب بهذه اللوحة التي أمامي على الجدار.

فنظرت مورين إلى اللوحة الزيتية لضابط بحري بمنظاره المكبّر وقالت: معك حقّ، هذه اللوحة تكاد تكون الشيء الوحيد الثمين في هذا البيت، وجوني يعتزّ بها كثيراً؛ فهي لجدّه الأكبر الذي أبى أن يغادر سفينته في أثناء غرقها، وجوني فخور بها.

فعقّب بوارو بقوله: أجل، من حقّ زوجك أن يباهي بها.

* * *

كانت الساعة قد بلغت الثالثة حينما وصل بوارو إلى منزل الطبيب ريندِيل، وفتحت له الباب السيدة سكوت العجوز مديرة البيت، فسألها عن السيدة ريندِيل التي كانت جالسة

في غرفة الاستقبال تستمع إلى الإذاعة، وكانت -كعهده بها منذ أول لقاء بينهما- حذِرة منه أو مما يمثّله، كما بدت أشدّ شحوباً وأكثر نحافة عن ذَي قبل، وبادرها قائلاً: سيدتي، أريد أن أوجّه إليك سؤالاً.

- سؤال؟ ما هو؟

- هل اتصلَت بك السيدة أبوارد يوم وفاتها؟

وبعد أن رمقته بنظرة حادّة أومأت إيجاباً.

- ومتى كان ذلك؟

- لقد تلقَّت السيدة سكوت المكالمة الهاتفية وكانت الساعة نحو السادسة فيما أظن.

- وهل كان مضمون الرسالة دعوتك إلى زيارتها في تلك الليلة لقضاء السهرة معها وأنها ستكون وحيدة لأن جانيت سوف تكون بالخارج وأنها تودّ لو آنستِ وحشتها؟

- نعم.

- هل حدّدَت لك وقت هذه الزيارة؟

- الساعة التاسعة أو ما بعدها.

- وهل لبّيتِ الدعوة؟

- كنت أعتزم ذلك إلاّ أنني شعرت بميل إلى النوم بعد العشاء، ولم أستيقظ قبل العاشرة فرأيت أن الوقت متأخّر.

- ألم تتحدّثي إلى الشرطة بشأن تلك الدعوة؟

فاتّسعت عيناها قائلة ببراءة الأطفال: أكان يجب أن أفعل

هذا ما دمتُ لم أتوجّه لزيارتها؟! لقد كنت أشعر بعُقدة الذنب لأنه خُيّل إليّ أنني لو كنت استجبت لدعوتها لكانت لم تزل على قيد الحياة حتى الآن. أرجو ألاّ يكون هذا هو الواقع!

- اطمئنّي يا سيدتي.

ثم توقّف عن الكلام قليلاً قائلاً: سيدتي، مِمّ تخافين؟

فتمالكت رباطة جأشها وأجابت: أخاف؟! أنا لا أخاف من شيء.

- ولكنك في فزع من شيء ما.

- هراء! ومِمّ أخاف؟

- ربما.

ولم تعقّب بشيء ولكنها حملقت في وجهه وهي تومئ برأسها نفياً.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

قال سبنس: هذا سيؤدّي بنا إلى الجنون.

فقال بوارو مهدّئاً روعه: الأمر لم يبلغ بعدُ هذا الحدّ من السوء.

- هذا هو رأيك دائماً، ألا ترى أن كل معلومات جديدة تزيد الأمور تعقيداً؟! ها أنت تحدّثني بأن السيدة أبوارد اتصلت هاتفياً بثلاث نساء وسألَت كل واحدة منهن أن تزورها، ففيمَ كان ذلك؟! أتراها لم تكن تعرف أيّهن هي ليلي جامبول؟ ألم ترَ أن الأمر لا يتصل بليلي جامبول على الإطلاق؟ وهذا الكتاب المدوّن به اسم إيفيلين هوب، هو يوحي إلينا بأن السيدة أبوارد وإيفا كأنهما شخص واحد!

- هذا يتفق مع ما قاله جيمس بنتلي عن انطباعه بعد استماعه لما تحدّثت به السيدة ماغنتي إليه.

- لقد ظننت أنه لم يكن واثقاً من ذلك.

- ليس من شأن جيمس بنتلي أن يكون واثقاً من شيء، ومع ذلك إذا كان بنتلي قد اعتقد أن السيدة ماغنتي كانت تقصد السيدة أبوارد فقد يكون مصيباً في استنتاجه هذا.

- آخر ما ورد إلينا من معلومات من أستراليا (وليس أمريكا كما قيل من قبل) تدلّ على أن إيفيلين هوب قد ماتت منذ عشرين عاماً.

- هذا ما علمته.

- أنت دائماً على علم بكل شيء يا بوارو!

فلم يعقّب بوارو بشيء وإنما تحدّث في الموضوع قائلاً: لقد علمنا أن إيفيلين هوب تُوفّيَت بأستراليا، هذا من ناحية، وماذا لدينا من الناحية الأخرى؟

- لدينا من الناحية الأخرى أن السيدة أبوارد أرملة أحد رجال الصناعات الكبرى في الشمال، وكانت تقيم معه على مقربة من ليدز، وقد أنجبَت منه ولداً، وتُوفّي زوجها بعد مولد الابن فآثرت أن تقضي معظم أعوامها بالخارج نظراً لضعف صحّة الابن.

- ماذا كان اسمها وهي فتاة؟ أعني اسمها قبل الزواج.

- هارغريفز. ولكن ما أهمية ذلك؟

- إيفا كانْ (أو إيفيلين هوب) ربما تكون قد دبّرت أمر وفاتها لتبدأ حياة جديدة باسم هارغريفز.

- لقد انقضَت على تلك الأحداث فترة طويلة، ولكن إذا ما افترضنا أن هذا صحيح وافترضنا أنها كانت تحتفظ بإحدى صورها الفوتوغرافية وأن السيدة ماغنتي قد عثِرت على تلك الصورة، فستكون السيدة أبوارد هي التي قتلَت السيدة ماغنتي.

- كل هذا ممكن، وكان روبين أبوارد يذيع كلمته في تلك الليلة، وبناءً على ما قالته السيدة سويتي مان فالسيدة أبوارد لم تكن بالكسيحة كما كانت تحبّ أن تبدو، وهذه المعلومات بناءً على ما تحدّثَت به إليها الوصيفة جانيت غروم.

- يبقى بعد هذا معرفة التسلسل المقنع وهو أن السيدة أبوارد هي الأخرى قد قُتلَت بعد تعرُّفها على إحدى الصور الفوتوغرافية، فهل تريد أن تنتهي من ذلك إلى أنه لا صلة بين الحادثَين؟

- لا، فالصلة بين الجريمتَين لا شك فيها. إيفيلين هوب هي مفتاح هذه المشكلة، ولا تنسَ أن إيفيلين هوب (أو إيفا كانْ) كانت مربّية في بيت آل كريج.

- وماذا يعني هذا؟

- إذا وُجدت مربّية فيجب أن يوجد أطفال، أو على الأقل طفل واحد، فماذا كان مصير أولئك الأطفال؟

- كان هناك طفلة وطفل فيما أعتقد، وقد تولّى أمرهما بعض الأقارب.

- إذن فلدينا اثنان يجب أن ندخلهما في حسابنا، اثنان يحتمل أن يحتفظا بصورة فوتوغرافية بُغية الانتقام.

فأسرع سبنس يقول: لست أصدّق شيئاً من هذا!

- يجب ألاّ نستبعدهما من تفكيرنا مهما يكن الدافع إلى القتل. أعتقد أني أعرف الحقيقة الآن، وإن كان ثمة واقعة تضلّلني وتنحرف بتفكيري.

- وأخيراً، بوارو يعترف بالحيرة!

- أرجوك أن تتثبّت من شيء واحد يا صديقي، ليس من شك في أن إيفا كانْ قد غادرت البلاد قبل تنفيذ الحكم في كريج، أليس كذلك؟

- بلى.

- وكانت حينذاك تنتظر مولوداً؟

- تماماً.

- يا إلهي، ما أشدّ غبائي! الأمر في غاية البساطة.

* * *

قال بوارو بالهاتف: أريد محادثة السيدة أوليفر.

ولم يكن من اليسير تنفيذ هذه المحادثة الشخصية؛ فقد كانت السيدة أوليفر جادّة في عملها مكبّة عليه، غير أن بوارو ألحّ في طلبها إلى أن سمع صوتها اللاهث وهي تقول: ماذا هناك؟! ماذا دعاك إلى الاتصال بي في مثل هذه الساعة؟! لقد كنت مستغرقة في فكرة قصّتي الجديدة!

- ما أريد أن أحدّثك به أكثر أهمية من القصّة.

- هذا بالنسبة لك، لكن عملي دائماً في المقام الأوّل.

ولم يُعِرْ بوارو اعتراضها انتباهاً وراح يوجّه إليها بعض الأسئلة الموضوعية، وكانت تجيب عليها ببعض الغموض.

- نعم، لا أعرف اسم المسرح، ولكن أحدهم كان يُدعى

سيسيل والآخر مايكل.

- رائع! هذا كل ما كنت أريد أن أعرفه.

- ولكن، لماذا سيسيل ومايكل؟

- عودي إلى أحداث قصّتك قبل أن يشرد بك ذهنك يا سيدتي.

- لا أدري لماذا لا تُلقون القبض على الطبيب ريندیل! لو كنت من رئيس شرطة اسكتلنديارد لألقيت القبض عليه.

- هذا ممكن، أرجو لك التوفيق في قصّتك الجديدة.

- لقد بدّدتَ الفكرة بمقاطعتك الهاتفية لي!

واعتذر لها بوارو وأعاد السمّاعة إلى مكانها وهو يبتسم لسبنس قائلاً: سنذهب الآن، أو على الأصحّ سأذهب بمفردي لزيارة ممثل شابّ يُدْعى مايكل يقوم بالأدوار الثانوية في مسرح كولينكاي، وأرجو أن يكون هو مايكل المنشود.

- وفيمَ كل هذا؟!

ولمس بوارو من لهجة سبنس مدى غضبه، وبلباقة بوارو المعهودة حاول أن يهدّئ من روعه بحديث فلسفي عن الأسرار التي يُخيّل إلى البعض أنها في طيّ الكتمان مع أنها معروفة للجميع. وضاعفت تلك المحاضرة من غضب المفتش سبنس الذي كان يحاول أن يسيطر على أعصابه حتى لا يدفعه حنقه المتزايد إلى فعل ما يعاب عليه.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

انتهت جلسة التحقيق في قضية مقتل السيدة أبوارد، وصدر القرار بجعل القضية جريمة قتل ضدّ مجهول. وبعد التحقيق دعا هيركيول بوارو جميع الشهود إلى ضيافته في لونغ ميدوز، وقد وُفِّق بوارو إلى إعادة النظام إلى غرفة الاستقبال واستبعاد الكلاب كي لا تزعج الضيوف وإعداد المقاعد بحيث تكون نصف دائرة يتصدّر هيركيول بوارو رأسها. وبدأ حديثه قائلاً: سيّداتي، سادتي.

ثم توقّف، وكانت كلماته التالية غير متوقّعة، بل لقد بدت أقرب إلى الفكاهة منها إلى أيّ شيء آخر، فقال: لقد ماتت السيدة ماغنتي، كيف ماتت؟ لقد جثَت فوق ركبتَيها كما أفعل. لقد ماتت السيدة ماغنتي، كيف ماتت؟ كانت تمدّ يدها كما أفعل. لقد ماتت السيدة ماغنتي، كيف ماتت؟ ماتت هكذا.

وبعد أن تبيّن ما اختلجت به ملامحهم استطرد قائلاً: لا، أنا لم أفقد عقلي؛ فما ردّدته على مسامعكم هو أغنية خاصّة بملهاة للأطفال، وربما يكون أحدكم قد ردّد هذا النشيد من قبل. لقد كانت السيدة بوارو تردّده، وقد سمعتها تردّده أمامي

مع اختلاف يسير بالنسبة لنهاية كل من السيدة ماغنتي والسيدة أبوارد! ولتحقيق الغرض من اجتماعنا هذا يجب أن نبدأ القصّة من أوّلها ونعود القهقرى إلى أيام كانت السيدة ماغنتي تجثو فوق ركبتيها لتقوم بتنظيف بيوت الآخرين، ثم كان أن قُتلَت السيدة ماغنتي واتُّهم جيمس بنتلي بقتلها وصدر عليه حُكم بالإعدام. ولأسباب معيّنة لم يكن المفتش سبنس (الذي عُهد إليه بتحقيق القضية) مقتنعاً بإدانة بنتلي بالرغم من قوّة الأدلّة التي أُقيمت ضدّه، وقد كنتُ متّفقاً معه في الرأي، فقدِمتُ إلى بلدتكم هذه لأتولّى الإجابة عن هذا السؤال: كيف ماتت السيدة ماغنتي؟ ولماذا ماتت؟

ولن أُثقِل عليكم بسرد تاريخ طويل معقّد، وأصارحكم بأن زجاجة حبر هي التي كانت دليلي الأوّل في هذه القضية، وكانت صحيفة صنداي كوميت (التي دأبت السيدة ماغنتي على قراءتها) قد نشرت أربع صور فوتوغرافية في يوم الأحد السابق ليوم وفاتها، وأنتم تعرفون كل شيء عن هذه الصور بالطبع. وقد حدث أن تعرّفت السيدة ماغنتي على إحدى تلك الصور التي كانت تطابق صورة فوتوغرافية وقع عليها نظرها في أحد البيوت التي كانت تعمل بها، وتحدّثت بهذا إلى جيمس بنتلي الذي لم يعلّق أهمية كبرى على ما سمعه في حينه ولا من بعد، فهو لم يُعِرْ حديثها انتباهاً، غير أنه كان يظن أن الصورة التي تعرّفت عليها السيدة ماغنتي قد وقع نظرها عليها في منزل السيدة أبوارد، وذلك أثر ما انطبع في نفسه من حديث السيدة ماغنتي عن كبرياء بعضهنّ دون أن تذكر اسماً معيّناً. ونحن وإن كنا لا يجب أن نعوّل على بعض الظن إلا أننا جميعاً نعرف عن السيدة أبوارد كبرياءها وصَلَفها، وقد كان بعضكم حاضراً

عندما قمتُ بعرض تلك الصور بمنزل السيدة أبوارد، ولقد لمحتُ في عينيها بريق التعرّف على إحدى الصور واعترفت لي بهذا فيما بعد، فبعد أن راوغتني قليلاً أشارت إلى صورة ليلي جامبول، إلاّ أن هذا منها كان أبعد ما يكون عن الصدق. ولدواع خاصّة بها كانت السيدة أبوارد تريد أن تحتفظ بالسرّ لنفسها فأومأت إلى غير الصورة المعنية لتضليلي، إلا أن شخصاً واحداً لم يُخدَع ألا وهو القاتل، وكان هذا القاتل يعرف الصورة التي تعرّفت عليها السيدة أبوارد. وخلاصة القول أصارحكم بأن تلك الصورة كانت صورة إيفا كانْ، وهي المرأة التي كانت الشريكة أو الضحيّة أو الروح الموجّهة في قضية كريج المشهورة.

وفي مساء اليوم التالي قُتلَت السيدة أبوارد، قُتلَت لنفس السبب الذي قُتلَت من أجله السيدة ماغنتي، وقبل وفاة السيدة أبوارد تلقّت ثلاثُ نساء مكالمات هاتفية، وهنّ السيدة كاربنتر والسيدة رينديل والآنسة هندرسون، والمكالمات الثلاث كانت تتضمّن رسالة واحدة من السيدة أبوارد، ألا وهي دعوتهنّ إلى زيارتها في تلك الليلة حين كانت خادمتها في إجازة وابنها في الخارج في صحبة السيدة أوليفر لقضاء سهرة مسرحية، الأمر الذي نستدلّ منه أنها كانت تريد أن تنفرد بكل منهن في حديث خاصّ. والآن، على أيّ أساس كان اختيار السيدة أبوارد لأولئك الثلاث؟ هل كانت السيدة أبوارد تعرف أين شاهدت صورة إيفا كانْ أم أنها كانت لا تذكر أين وقع نظرها على تلك الصورة؟ وهل تشترك الثلاث نساء في أمر واحد؟ هنّ لا يشتركن إلا في شيء واحد وهو السنّ، فهن جميعاً في نحو الثلاثين من عمرهن. ولعلّكم اطّلعتم على المقال الوارد

بصحيفة صنداي كوميت وأدركتم منه أن إيفا كانْ كانت تنتظر مولوداً، وأن مَن سألتهنّ السيدة أبوارد أن يزُرنها كنّ جميعاً في سنّ ابنة إيفا كانْ. ويبدو من هذا كله أن إحدى النساء المقيمات في برودهيني هي ابنة كل من القاتل الشهير كريج وعشيقته إيفا كانْ، كما يبدو أن تلك الابنة كانت على استعداد لترتكب كل ما من شأنه أن يحول دون ذيوع هذه الحقيقة، بما في ذلك القتل مرة أو مرتين. ولنعُدْ الآن إلى استعراض الثلاث نساء اللاتي تلقّيَن الرسالة الهاتفية.

ومرّت لحظة صمت قال بوارو بعدها: تقول السيدة كاربنتر إنها تلقّت الرسالة ولكنها لم تستجِب لما دُعيَت إليه، وتقول السيدة ريناديل إنها كانت تعتزم تلبية الدعوة ولكنها استسلمت للنوم في مقعدها بعد تناول طعام العشاء، أمّا الآنسة هندرسون فقد توجّهَت فعلاً إلى المنزل ولكنها وجدته مظلماً ولم يستجِب لطرقاتها أحد فعادت أدراجها. هذه هي قصص النساء الثلاث، ولكن هناك دليل يناهض هذه الأقوال، فهناك كوب القهوة الثاني الذي وُجدَت به آثار أحمر شفاه، وهناك أقوال الشاهدة إدنا التي قرّرَت أنها رأت سيدة شقراء الشعر تدخل المنزل، وهناك أيضاً تلك الرائحة العطرية التي كانت تفوح في البهو ولا تستعملها منهنّ سوى السيدة كاربنتر.

وهنا يقاطَع بوارو لأول مرة، فقد صاحت إيف كاربنتر قائلة: كذب! كذب دنيء حقير! أنا لم أدخل المنزل! بل لم أقترب من ذلك المنزل في تلك الليلة! جاي، ألا يمكنك أن تفعل شيئاً حيال هذه الأكاذيب؟!

فاستشاط جاي كاربنتر غضباً وصاح قائلاً: سيد بوارو!

دعني أبصّرك بأن هناك قانوناً للتشهير والقذف، وهؤلاء السادة شهود على ما كان منك.

- هل يُعَدّ قذفاً مجرّد قولي إن زوجتك تستعمل عطراً معيّناً وأيضاً أحمر شفاه معيّناً؟

فصاحت إيف: هراء، هراء! فأيّ شخص بوسعه أن ينثر عطري.

فابتسم بوارو على غير ما كان متوقّعاً منه وهو يقول: تماماً يا سيدتي، يمكن لأيّ شخص أن يفعل هذا، وقد كانت هذه الفكرة مفتاحاً لما أعقبها من نظريات رائحة عطر وآثار أحمر شفاه. لقد كان من اليسير إزالة آثار أحمر الشفاه عن الكوب وكانت الفرصة سانحة بخلوّ المنزل، فلماذا لم تُزَل تلك الآثار؟ لماذا؟ ليس من شك في أنها تُركَت عمداً لتوحي بأن القاتل امرأة. وقد استعرضتُ ما كان من أمر تلك الاتصالات الهاتفية فوجدت أنها كانت كلّها رسائل مبلّغة، كما تصادف أن السيدات الثلاث لم تتحدّث السيدة أبوارد شخصياً إلى واحدة منهنّ. لقد دُبّر الأمر على أساس الزجّ باسم امرأة في الجريمة، أيّ امرأة. وعُدتُ أسائل نفسي عن السبب في كل هذا، وبعد أن قلّبتُ الأمر على كلّ وجه كان أمامي دائماً هذا الجواب الواحد: لم يكن القاتل امرأة، لقد كان رجلاً.

وانتقل بوارو بنظراته بين الحضور وكانوا جميعاً ملتزمين جانب الصمت وكأن على رؤوسهم الطير. ولم يعقّب على حديثه سوى اثنان، إيف كاربنتر التي انبرت تقول وقد أطلقت من صدرها زفرة حارّة: لقد أصبح حديثك منطقياً!

وأردفت السيدة أوليفر مؤيّدة: بكل تأكيد.

وواصل بوارو حديثه قائلاً: وهكذا توصّلتُ في هذه النقطة من استقرائي للأدلّة إلى أن رجلاً هو الذي قتل السيدة أبوارد، وأن رجلاً أيضاً هو الذي قتل السيدة ماغنتي. لكن من يكون ذلك الرجل؟ هذا هو السؤال الأول. إن الدافع إلى القتل يجب أن يكون واحداً، وهو يحوم حول إحدى الصور الفوتوغرافية، ففيمَ كان الاحتفاظ بها؟ وهذا هو السؤال الثاني. لقد كانت الصور لدى شخص يعتزّ بأسرته، هذا الاعتزاز الذي حدا به إلى الإقامة بمنزل الأسرة ليعيش بين أطياف الماضي، وهذا الشخص كان يؤْثِر الموت على أن يعرف الناس أو يعرف أبناؤه أن مورين سمرهايز هي ابنة القاتل كريج وإيفا كانْ. وقلتُ إن هذا الشخص كان على استعداد للموت في سبيل كتمان هذا السرّ، ولكن هل يؤدّي موت السرّ إلى الغرض المنشود؟ وسرعان ما تتحوّل هذه التضحية إلى فكرة القتل ذوداً عن مبادئه وكرامته وكرامة أسرته.

فنهض جوني سمرهايز عن مقعده، وكان صوته هادئاً حينما بدأ يتحدّث بلهجة ودّية قائلاً: كل ما تحدّثتَ به ما هو إلاّ باطل الأباطيل وهراء في هراء! ماذا ترى في نفسك لتجلس هكذا تُسمعنا النظرية تلوَ الأخرى ثم تعطي نفسك الحق في نسبة أشياء إلى زوجتي؟ ثم انفجر غاضباً وصاح: أيها الخنزير القذر اللعين!

واندفع نحو بوارو على غرّة من الجميع، ولكن سرعان ما كان المفتش سبنس يقف حائلاً بين بوارو وبين سمرهايز قائلاً: أيها الميجور، هدّئ من روعك، هدئ من روعك.

واستعاد سمرهايز رباطة جأشه وقال باستخفاف: آسف؛ فالأمر يبدو مضحكاً. إن أيّ إنسان يمكنه أن يضع هذه الصورة الفوتوغرافية في أحد الأدراج.

فعقّب بوارو بقوله: تماماً، وما يسترعي الانتباه بشأن هذه الصورة أنه لا توجد عليها بصمات أصابع، الأمر الذي كان من المفروض أن يكون إذا ما افترضنا أن السيدة سمرهايز كانت تحتفظ بالصورة وتعلم بأمرها.

فصاحت مورين قائلة: أعتقد أنك رجل مجنون! أنا لم يسبق أن وقع نظري على هذه الصورة من قبل، اللهمّ إلا في ذلك اليوم بمنزل السيدة أبوارد.

- من حُسن حظّك أنني أعرف أنك تقولين الحق، فهذه الصورة الفوتوغرافية قد دُسَّت عليك قبل أن أعثر عليها ببضع دقائق؛ فقد قمت مرتين بإعادة ما بُعثر من أشياء إلى مكانها بهذا الدرْج، وفي المرة الأولى لم تكن هذه الصورة موجودة وفي المرة الثانية كانت موجودة، وأنا أعرف مَن دسّها عليك.

وبلهجة جادّة متحفّزة واصل بوارو كلامه قائلاً: لقد ارتكب هذه الجرائم رجل، والدافع إلى كل من الجريمتين هو أبسط الدوافع، ألا وهو المال. لقد وُجد في منزل السيدة أبوارد كتاب مدوَّن على غلافه الداخلي اسم «إيفيلين هوب»، وهوب هو الاسم الذي اتخذَته إيفا كانْ عند مغادرتها إنكلترا، وقد يكون اسم إيفا اختصاراً لإيفيلين. وكان من المحتمل أن تطلق هذا الاسم إيفيلين على ابنتها، غير أن إيفيلين يمكن أن

يكون أيضاً اسماً لرجل! ولست أدري على أيّ أساس افترضنا أن طفل إيفا كانْ كانَ أنثى! على أساس ما نُشر بصحيفة الصنداي كوميت؟ ولكن الصحيفة لم تجزم بهذا لأن إيفا كانْ غادرت إنكلترا قبل مولد طفلها. وقد توقّفتُ عند هذه النقطة طويلاً بعد أن ضلّلتني الصحيفة واختلط عليّ الأمر. ثم كان أن عاد إيفيلين هوب (ابن إيفا كانْ) إلى إنكلترا، وكان شاباً موهوباً لفت نظر سيدة ثرية لا تعرف شيئاً عن أصل مولده سوى ما سرده على مسامعها من قصّة خيالية، وهي قصّة قصيرة عن مأساة راقصة باليه روسية تُوفّيت في باريس نتيجة لإصابتها بمرض صدري خطير. وكانت تلك السيدة الثريّة وحيدة لأنها فقدت ولدها حديثاً، وسُمّي الكاتب المسرحي الموهوب باسم روبين أبوارد بدلاً من إيفيلين هوب. أليس كذلك يا سيد أبوارد؟

فصاح روبين أبوارد بذعر قائلاً: لا، لا؛ أنا لا أعرف عمّ تتحدّث!

- لا يمكنك أن تنكر هذه الواقعة؛ فثمة من يعرفونك بذلك الاسم، واسم «إيفيلين هوب» المدوّن بالكتاب مدوّن بخطّ يدك، وهو نفس الخط الذي دوّنت به كلمة «أُمّي» فوق ظهر الصورة. وقد وقع بصر السيدة ماغنتي على الصورة وما دُوّن بها في أثناء قيامها بتنظيم حُجرتك، وكان أن تحدّثَت إليك عن هذه الصورة بعد اطّلاعها على الصور المنشورة بالصنداي كوميت. وافترضَت السيدة ماغنتي أن الصورة وما كتب على ظهرها للسيدة أبوارد وهي في مقتبل العمر، وبالتالي لم يكن لديها أية فكرة عن أن السيدة أبوارد ليست والدتك الحقيقية،

وأنت تعلم أن السيدة ماغنتي قد تتحدّث إلى السيدة أبوارد عن الصورة وأنها إذا فعلت ذلك فستُفتضَح الحقيقة ويكون في هذا نهايتك؛ فللسيدة أبوارد آراؤها الصارمة في موضوع الوراثة، وكان من المستحيل أن تتسامح في أن يكون ابنها المتبنّى ابناً لقاتل مشهور، كما أنها ما كانت لتغفر لك أكاذيبك عن مولدك. وبناءً على هذه الاعتبارات كان من المتعيّن أن تصمت السيدة ماغنتي إلى الأبد، فدبّرتَ الخطة ووعدتها بهدية كي لا تتحدّث بشيء، ثم قمتَ بزيارتها في الليلة التالية في حين كنتَ في طريقك إلى الإذاعة وقُمتَ بقتلها بهذه الطريقة.

وبسرعة التقط بوارو المطرقة التي كانت فوق الرفّ ولوح بها فوق رأس روبين فصرخ معظم الحاضرين فزعاً، كما أرسل روبين أبوارد صرخة مدوّية وراح يقول: لا تفعل هذا بي، لقد حدث هذا عرَضاً. أقسم لك أنه كان قضاء وقدراً؛ أنا لم أتعمّد قَتلها ولم أكن قد عقدتُ النيّة على ذلك. لقد فقدتُ صوابي... أُقسِم أن هذا هو ما كان فعلاً.

- لقد أزلتَ آثار الدماء وأعدتَ المطرقة إلى مكانها.

- قلتُ لك أنا لم أكن أعتزم قتلها، أنا غير مسؤول عن موتها، فإن نزعة القتل تمشي في دمي! وأنت لا يمكن أن تسلّمني إلى المشنقة بغير ذنب جنيته.

فتمتم سبنس قائلاً: حقاً؟ سترى ما نحن فاعلون بك.

وبلهجة رسمية حادّة استطرد قائلاً: من واجبي أن أبصّرك يا سيد أبوارد بأن ما تنطق به سوف يتّخذ دليلاً ضدّك.

* * *

الفصل الخامس والعشرون

– الواقع يا سيد بوارو أنني لا أعرف كيف انتهى بك الأمر إلى الارتياب في روبين أبوارد.

وتأمّل بوارو المحيطين به قائلاً: كان يجب أن تساورني الريبة فيه قبل ذلك؛ فقد كان مفتاح القضية في تلك الجملة التي نطقت بها السيدة سمرهايز في الحفل، وقد قالت لروبين أبوارد: "لستُ أحبّ أن أكون ابنة متبنّاة، أتحبّ هذا؟". وكانت الكلمتان الأخيرتان تعنيان كل شيء لديّ لما كشفتا عنه من أن السيدة أبوارد لم تكن أمّ روبين الحقيقية، يضاف إلى هذا أنني لم أكن أجد في معاملة روبين للسيدة أبوارد معاملة الولد المدلّل أو الابن المتفاني في محبّة أمّه. وجدير بالذكر أن معاملة السيدة أبوارد لروبين لم تكن سوى معاملة المالك لما يملك، وغنيّ عن البيان أن روبين كان قد استمرأ الحياة الهانئة والعيش الرغد، ولم يكن ليدَع امرأة مثل السيدة ماغنتي لتُخرِجه من هذه الجنة، وهكذا قرّر أن يقتل السيدة ماغنتي ثم يعمد إلى تصوير الحادث على أنه كان بدافع السرقة، فسطا على نقودها التي كان يعرف مكانها شأنه في ذلك شأن سائر سكان برودهيني، ثم أخفى النقود خارج المنزل ليلقي

بالشبهات حول بنتلي. ثم حدث أن قمتُ بعرض الصور الفوتوغرافية وتعرّفَت السيدة أبوارد على إحداها كصورة مطابقة لصورة راقصة الباليه التي زعم روبين أنها أمّه! وكانت الصورة المتعرّف عليها هي صورة إيفا كانْ. من هنا كانت السيدة بحاجة إلى فُسحة من الوقت لتدبير الأمر والتحقّق مما ساورها من الشكوك، غير أن روبين لم يكن بالرجل الذي يدَع شيئاً للصُّدَف، فهو يدبّر ويخطّط لكل المشاهد والأحداث ولا يغفل شيئاً، فكان تدبير ذهابه إلى المسرح في ليلة إجازة جانيت الأسبوعية، وأحمر الشفاه المختلَس من حقيبة يد إيف كاربنتر، وقد بلغ به حُسن الإعداد أنه ابتاع زجاجة عطر من النوع الذي تستعمله السيدة كاربنتر.

وبينما كانت السيدة أوليفر جالسة في انتظاره بالسيارة للتوجّه إلى المسرح لاحظت أنه عاد أدراجه إلى المنزل مرتين بحُجّة العمل على راحة السيدة أبوارد والاطمئنان إلى أنه أعدّ لها كل ما هي بحاجة إليه، بما في ذلك القهوة التي كانت السيدة أبوارد قد سألته أن يعدّها بجوار مقعدها. ولم يستغرق منه الإجهاز على السيدة أبوارد سوى ثوانٍ معدودة، كما لم يستغرق منه افتعال الأدلّة كثيراً، ومنها ما يتّصل بالعطر وأحمر الشفاه تركيزاً على أن الفاعل امرأة.

وبعد الحادث انتقل للإقامة بمنزل آل سمرهايز ليدسّ الصورة الفوتوغرافية التي كان يحتفظ بها على السيدة سمرهايز، غير أنه حدث أن علم بما أدْلَت به ديردر هندرسون من أقوال بشأن توجّهها إلى منزل آل أبوارد، فرأى أن يدسّ الصورة على هندرسون. ولم يكن ثمة من وسيلة سوى الدخول

عبر النافذة، ولكنه لم يوفَّق لسبب خارج عن إرادته، ثم عاد إلى رأيه الأوّل وهو دسّ الصورة على السيدة سمرهايز حيث عثرتُ عليها في أحد الأدراج.

وعرفتُ مَن الذي تيسّر له هذا، هو الرجل الوحيد المقيم معنا في المنزل فيما عداي. وحدث أن اسم «إيفيلين هوب» كان مدوّناً فوق غلاف الكتاب الداخلي الذي عثرَت عليه الشرطة ببيت آل أبوارد، فيتعيّن إذن أن يكون إيفيلين هوب هو روبين أبوارد أو السيدة أبوارد، وقد حُلّت هذه المشكلة بمجرّد أن علمتُ من الممثل مايكل صديق روبين الذي يعرف الكثير عنه أن السيدة أبوارد ليست والدة روبين الحقيقية.

* * *

الفصل السادس والعشرون

قالت مود ويليامز: أنا لن أعود للعمل في شركة بريذر وسكاتل؛ فهي شركة قذرة.

- المهمّ أنكِ استنفذت أغراضك منهم.

- ماذا تعني بهذا يا سيد بوارو؟

- ماذا جاء بك إلى هذه الناحية من العالَم؟

- أعتقد أنك تعرف هذا ما دمتَ تعرف كل شيء!

- لديّ فكرة ما.

- وما هي؟

وكان بوارو يتأمّل شعر مود وهو يقول: لقد كنتُ رصيناً فطناً، وكان من المفروض أن السيدة التي دخلت منزل السيدة أبوارد، السيدة الشقراء التي رأتها إدنا، هي السيدة كاربنتر، وأنها أنكرت ذهابها إلى المنزل خشية ما يعقُب اعترافها بذلك من نتائج. وحيث إنه قد ثبت أن روبين أبوارد هو الذي قتل السيدة أبوارد فوجودها أصبح بغير مبرّر كوجود الآنسة هندرسون. ومع ذلك فأنا لا أعتقد أنها كانت هناك، بل أعتقد

يا آنسة ويليامز أن السيدة التي وقع عليها نظر إدنا هي أنتِ.

- ولماذا أكون أنا بالذات؟

- ما الذي حدا بك إلى الاهتمام ببرودهيني؟ لماذا طلبتِ من روبين أبوارد توقيعه مع أنك لستِ من هذا الطراز الذي يهتمّ بجمع توقيعات العظماء والمشاهير؟ ماذا كنت تعرفين عن آل أبوارد؟ لماذا اخترتِ هذه الناحية من العالَم بالذات؟ كيف عرفتِ أن إيفا تُوفّيَت في أستراليا؟ وكيف عرفتِ الاسم الذي اتخذَته حين مغادرتها إنكلترا؟

- أنت داهية! لكن ليس لديّ ما أخفيه عنك.

وفتحَت حقيبة يدها وأخرجَت منها قصاصة من صحيفة يومية قديمة عفا عليها الزمن، وفي تلك القصاصة كانت صورة إيفا كانْ المبتسمة الوجه التي أصبحت مألوفة لدي بوارو، وفوق تلك الصورة كانت عبارة «لقد قَتلَت أمي» مدوَّنة بالحبر. وأعاد بوارو الصورة لها قائلاً: أجل، هذا ما ظننته، إذن فاسمك الحقيقي هو كريج؟

- نعم، لقد تعهّدَني أولاد عمّ لي، وكنت قد بلغت من العمر مرحلة يدرك الطفل فيها كل شيء، وطالما كنت أستعيد الماضي وأستغرق في تأمّلاتي. لقد كان والدي ضعيفاً، وكانت هي قوية الشخصية مسيطرة عليه، ومن المحقق أنها هي التي قتلَت والدتي وأن أبي قد ضحّى بنفسه من أجلها. وقد اعتنيت طوال الوقت بنفسي، وبعد أن اشتدّ عودي أمعنت في التحرّي عمّا كان من مصيرها، وعهدتُ إلى شرطي سرّي باقتفاء أثرها في أستراليا، وقد عرف أنها ماتت وأنها أنجبت

ولداً أَطلق على نفسه اسم إيفيلين هوب. وكان يبدو أن القصّة اختُتمت فصولاً بهذه المعلومات الأخيرة، ثم كان أن تعرّفت على ممثل شاب ورد على لسانه اسم إيفيلين هوب العائد من أستراليا والذي يسمّى باسم روبين أبوارد، وعلمتُ منه أنه مؤلّف مسرحي، فاسترعَت هذه المعلومات الجديدة انتباهي. وذات ليلة أومأ أحدهم إلى روبين أبوارد الذي كان في صحبة والدته، مما دعاني إلى الاعتقاد بأن إيفا كانْ ما زالت على قيد الحياة، فسعيتُ إلى الالتحاق بعمل في هذه النواحي؛ فقد كان الفضول يستبدّ بي، بل وأكثر من الفضول. فليكن، سأعترف لك. لقد تملّكتني رغبة عارمة في الانتقام منها بوسيلة أو بأخرى، وحينما اتصلت أنا بشأن جيمس بنتلي واستمعت إلى قصّتك استنتجت أن السيدة أبوارد هي التي قتلت السيدة ماغنتي، وأن إيفا كانْ قد عادت سيرتها الأولى. وحدث أن سمعت من مايكل وست بأن روبين أبوارد والسيدة أوليفر سوف يشهدان العرض المسرحي بكولينكاي، فقرّرتُ أن أذهب إلى بيت السيدة أبوارد ليكون لي شأن مع تلك المرأة، وحملت معي مسدّساً صغيراً. هل كنت أبغي بهذا إلقاء الرعب في قلبها؟ لست أدري. ثم كان أن ذهبتُ إلى المنزل فوجدتُ السكون مخيّماً عليه، ودخلت من الباب الذي لم يكن مغلقاً لأجدها جالسة فوق مقعدها وقد فارقت الحياة.

ثم نظرَت إليه قائلة: ماذا أنت فاعل الآن يا سيد بوارو؟

- لا شيء، أرجو لك التوفيق في حياتك.

* * *

خاتمة

كان بوارو والمفتش سبنس يحتفلان بنجاحهما في مطعم غراند مير، وبعد فراغهما من احتساء أقداح القهوة استرخى سبنس في مقعده قائلاً: هذا المطعم لا بأس به، طعام جيّد وشراب جيّد وجلسة مريحة.

- لقد تناولت عشائي هنا ليلة أن قدِمتَ لزيارتي.

- لقد كنتُ مصيباً في رأيي حينما اعتزمت أن أدَع الأمر بين يديك، وقد أجدتَ تمثيل دورك وأحكمتَ تضييق الخناق عليه إلى أن انهار واعترف فجنّبنا كثيراً من العناء لأن الأدلة لم تكن متوفّرة. يا لك من ماكر!

- لقد راوغته إلى أن اطمأنّ بالاً، ثم فاجأته بما فاجأته به. والمفاجأة أحياناً تُظهر الحقّ.

- لقد صادفنا في هذه القصّة الكثير من الأحداث والشخصيات، فإليك مثلاً السيدة كاربنتر ذات الماضي المشين، والتي كانت فزِعة من تحرّياتنا لتقصّي حقائق ماضيها خشية أن تفقد جاي كاربَنتر التي ألقت حوله شباكها وأوقعته في حبائلها، وهي لم تكن أرملة كما تدّعي. ثم إليك آل ويذربي، ذلك البيت القائم على عمد من الجشع والبغضاء والأنانية. الفتاة هي وارثة الثروة الطائلة عن عمّة لها.

- من حُسن الحظ أن الفتاة هي صاحبة الثروة؛ لأن هذا يجعل زواجها من جيمس بنتلي ميسوراً.

فنظر المفتش سبنس إلى بوارو دهشاً وهو يقول: زواجها من جيمس بنتلي؟ ديردر هندرسون؟! من قال هذا؟

- أنا قلت هذا. سأنصرف الآن للاهتمام بإتمام هذا الزواج، وإن كان الطرفان المعنيّان لم يَدُرْ بخلدهما شيء من هذا القبيل، ولكنني واثق من ميل كل منهما للآخر.

- ولكن جيمس بنتلي شاب بائس.

- أجل، بائس فعلاً، ولعله حزين الآن لأنه لم يُعدَم.

- ما أشدّ غرابته!

- هذا الشاب الغريب تُعجَب به فتاتان، مود ويليامز وديردر هندرسون. وإن كنت واثقاً من أنه سيختار الثانية لأنها أكثر ملاءمة له، أمّا الأولى فهي كثيرة النشاط متدفّقة الحيوية مما لا يتّفق مع شخصيته وطباعه وتكوينه.

وبعد فترة صمت قال سبنس: سوف يحاكَم روبين أبوارد في الأسبوع المقبل، أنا أشك في أنه...

- تشك في ماذا؟ هل تريد منّي أن أبدأ من جديد؟!

فابتسم المفتش سبنس قائلاً: لا، لا. من المؤكد أنه القاتل الذي ارتكب الجريمتَين.

* * *

(تمت)